محاضرات في
النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة

د/ مروة صلاح الدين

أستاذ علم الاجتماع المساعد

العام الجامعي

2024 /2025

بيانات الكتاب

الكلية/ الآداب

الفرقة/ الثالثة

قسم: علم الاجتماع

تاريخ النشر/ أكتوبر 2024

عدد الصفحات/ 150

أستاذ المقرر/ د. مروة صلاح الدين

قائمة المحتويات

الفصل الأول: 4

النظرية الاجتماعية: مدخل تمهيدي 4

الفصل الثاني: عوامل تطور التيارات الحديثة للنظرية الاجتماعية. 18

الفصل الثالث: الوظيفية الجديدة 28

الفصل الرابع: 36

الماركسية الجديدة 36

الفصل الخامس:..... 50

مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) 50

الفصل السادس:..... 65

النظريات التأويلية الحديثة (الأثنو ميثودلوجي) 65

الفصل السابع 74

النظرية النسوية..... 74

الفصل الثامن: نظريات تجاوز الثنائيات 88

(جيدنز) 88

الفصل التاسع نظريات تجاوز الثنائيات بورديو..... 98

الفصل العاشر.....109

نظرية ما بعد الاستعمارية.....109

الفصل الحادي عشر 117

نظرية ما بعد الحداثة 117

الفصل الأول:
النظرية الاجتماعية: مدخل تمهيدي

مفهوم النظرية العلمية

- تفسير عام مجرد يبسط الواقع ويسهم في فهمه.
- محاولة تعميمية منظمة لتفسير ظاهرة ما.
- تشير النظرية إلى تصور أو رؤية تحاول إن تفسر ظاهرة أو واقعة ما أو مشكلة أو سلوك استناداً على حجج منطقية أو إمبيريقية ويتسم هذا التفسير بدرجة من العمومية تتجاوز مستوى المشاهدات العينية إلى ما ورائها.
- والنظرية الإجتماعية لايمكن التعامل معها إلا باعتبارها نظرية ديناميكية Dynamic ، نشأت كتعبير عن مواقف إجتماعية وفكرية وأيديولوجية Situational ، وهي أيضاً قابلة للتغير Changeable ، في ضوء تغير المواقف والظروف .
- كشف لنا تطور النماذج الاجتماعية ان المداخل السوسيولوجية المعاصرة لم تكن جامدة، ولكنها كانت تجدد نفسها باستمرار نتيجة تغير المجتمعات والمناخ الفكري وقد مرت المداخل الاجتماعية بمرحلتين:
  - المرحلة الاولى: مرحلة تكوين النظرية الاجتماعية التقليدية.
  - المرحلة الثانية: مرحلة تجديد النظرية الاجتماعية المعاصرة.

بناء النظرية

- المفاهيم(المتغيرات): مفاهيم سوسيولوجية مثل الإنتاج, الطبقة, الدور, التنشئة الاجتماعية, المعايير, الرموز...الخ, كل مفهوم يستند على أولوية وأهمية هذا المفهوم في تفسير الواقع الاجتماعي.
- التعريف : كل نظرية يجب إن توضح المقصود تحديداً من مفاهيمها ,فتعريف المفهومات يأخذ شكل جمل خبرية عن الظاهرة موضوع النظرية.
- القضية النظرية(الفروض) : تعمل القضايا النظرية على الربط بين المفهومات (المتغيرات) بصورة علية
- توضح القضايا النظرية كيفية وقوع الأحداث أو الظواهر في ضوء علاقتها بمفاهيم النظرية.

وظائف النظرية:

- التفسير
- النقد الاجتماعي
- التنبؤ

تعرضت النظرية السوسيولوجية خلال تاريخها الحداثي لقضايا خلافية أساسية احتلت بؤرة الاهتمام، والجدير بالملاحظة أن الخلاف حول تلك القضايا كان يسفر في معظم الأحوال عن قطبين متعارضين من الرؤى والأفكار يقف كل منهما في مقابل الآخر، وإذا ما حاولنا الإلمام بأهم تلك القضايا سنتبين أنها تضم ثلاث قضايا رئيسية تتمثل في: أولوية الذات والمجتمع وعلاقة كل منهما بالآخر، ومستوى التحليل النظري والتوجه الإيديولوجي للنظرية.

1. ***أولوية الذات والمجتمع وعلاقة كل منهما بالآخر.***

فيما يتعلق بهذه القضية نجد أن الخلاف حول طبيعة العلاقة بين الذات والمجتمع أسفرت عن ثنائية الفعل/البناء التي يتم التعبير عنها أحيانا بثنائية الفرد/ المجتمع، وأحيانا بالنظريات الفردية *Individualistic*في مقابل النظريات الكلية *Holistic* باعتبار أن الأولى تبدأ بالأفراد وترى أن المجتمع نتاجاً لأفعالهم، بينما تبدأ الثانية بالمجتمع ككل معتبرة إياه شيء أكبر من مجموع المكونين له، وعلى هذا ترى أفعال الأفراد باعتبارها أفعال يحددها المجتمع الذي يشكلون جزء منه [1].

لقد تطورت هذه الثنائية في الآونة الأخيرة وعرفت بثنائية النظريات البنائية في مقابل النظريات التأويلية، حيث تؤكد النظريات البنائية *Structural Theories* على أن الموضوع الحقيقي لعلم الاجتماع هو البناء الاجتماعي بمعنى أنماط العلاقات التي تتسم بوجود مستقل عن الأفراد أو الجماعات التي تشغل أوضاعًا في هذه الأبنية الاجتماعية في أي وقت، وهناك صورتان رئيسيتان لهذا الاتجاه: الماركسية التي تقول: بأبنية أنماط الإنتاج، والنظرية الوظيفية البنائية بصورتها عند بارسونز والتي تقول: بأبنية

(1)آيان كريب، مرجع سابق، ص 42.

الدور[2]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تهتم النظريات البنائية بصفة أساسية بكيفية تأثير المجتمع في السلوك الفردي والجماعي بدلاً من كيفية تأسيس المجتمع بواسطة الأفراد والجماعات ومن الملامح المميزة للنظريات البنائية إنها تسعى إلى التفسيرات العلمية أو الوضعية للسلوك الاجتماعي[3]، وتتمثل المنظورات البنائية في الوظيفية والماركسية[4]حيث تجسد الأولى بنائية الإجماع *Consensus Structuralism*، وتجسد الثانية بنائية الصراع [5].

وفي المقابل تأتي النظريات التأويلية *Interpretive Theories* لتنظر إلى الفعل والمعنى بوصفهما موضوعين ذوي أهمية قصوى في علم الاجتماع [6]، ففيما يخص **الفعل** تؤكد تلك النظريات على إن الفعل الاجتماعي الهادف بالمعنى الذي حدده فيبر[7]. أي الموجه تجاه الأشخاص الآخرين الذين يمثلون أهمية للفاعل وهو أيضا الفعل الذي نضفي عليه معنى ذاتياً[8]. هو الموضوع الفعلي للاهتمام في علم الاجتماع والافتراض الضمني أو الظاهري وراء هذا الاتجاه أنه لا يوجد شيء أسمه المجتمع كل ما هناك هم أفراد أو جماعات تدخل في علاقات اجتماعية مع بعضها البعض[9].

وفيما يخص **المعنى**، لا تهتم هذه النظريات بطبيعة الفعل وحسب، بل تهتم أيضا بمعنى وتفسير الفعل، ويعد المعنى الذاتي الذي ينطوي عليه الفعل بالنسبة للفاعل أحد السمات المميزة لذلك، على خلاف السلوك[10]، وتجدر الإشارة هنا إلى إن نظريات الفعل المعاصرة تولي اهتمامًا لثلاثة قضايا مختلفة: **أولى:** هذه القضايا طبيعة الرشد والفعل الرشيد ذاته وتتبع بؤرة الاهتمام هذه من تنميط فيبر للفعل إلى أربعة أنماط: تقليدي (عرفي) وعاطفي (انفعالي) وموجه قيمياً وذرائعي (رشيد يستخدم وسائل محددة لتحقيق

---

(2) جوردون مارشال، مرجع سابق، ص 963.
(3) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص 50.
(4) المرجع السابق، ص 136.
(5) المرجع السابق، ص 50.
(6) جوردون مارشال، مرجع سابق، ص 424.
(7) المرجع السابق، ص 963.
(8) المرجع السابق، ص ص 1099 ، 1100.
(9) المرجع السابق، ص 963.
(10) المرجع السابق، ص 1504.

غايات معينة).....،أما القضية **الثانية:** القواعد المسلم بها بداهة والمخزون المعرفي الكامن وراء الفعل وهي قضية بالغة الوضوح لدى أصحاب الاتجاهات الاثنوميثودولوجيا والفينومينولوجيا، أما القضية الثالثة: فتركز عليها التفاعلية الرمزية من خلال معالجتها لعمليات التعلم و التفاوض حول معنى الفعل الذي يدور بين الفاعلين[11].

أما فيما يخص العلاقة بين الذات والمجتمع فتولي النظريات التأويلية اهتماماً بالغاً بكيفية قيام الأفراد والجماعات بتأسيس المجتمع وإضفاء معنى عليه ومعايشة الحياة فيه أو بالأحرى تأويل الذات (في علاقتها مع الآخرين) للمجتمع والوصول إلى معنى من وراء ذلك، وعلى العكس من علم الاجتماع البنائي يمثل علم الاجتماع التأويلي . في جانب منه . رد فعل مناوئاً للمنهج العلمي أو الوضعي المرتبط بالمنظورات البنائية[12].

2. مستوى التحليل النظري:

إن الجدل حول مستوى التحليل النظري أفرز ثنائية الماكرو والميكرو، أو ما يمكن تسميته الدراسة السوسيولوجية للوحدات الكبرى والدراسة السوسيولوجية للوحدات الصغرى؛ حيث يدرس الأول الأبنية الأعم والنظم الاجتماعية المتساندة والعمليات الكونية التاريخية في الحياة الاجتماعية، في حين يركز الأخير على الفعل والتفاعل وصياغة المعنى، وبصفة عامة، تصنف نظريات مثل التفاعلية الرمزية والتبادل الاجتماعي والاثنوميثودولوجيا على أنها تنتمي إلى الميكروسوسيولوجيا في حين إن الماركسية والوظيفية ونظريات الأنساق تعد نظريات ماكروسوسيولوجيا..... ولقد وصل حد التعارض بين طرفي هذه الثنائية إلي أن يقرر آلان داو Alan Dawe بأن:

> ***" هناك ... علما اجتماع : علم اجتماع الأنساق الاجتماعية ، وعلم اجتماع الفعل الاجتماعي ، ويقف هذان العلمان في تعارض مباشر مع بعضهما فيما يتعلق بقضيتين أساسيتين هما : قضياتا النظام والضبط وهما متصارعان علي كافة المستويات وهما يطرحان وجهات نظر متعارضة حول الطبيعة البشرية والمجتمع والعلاقة بين المجتمع والأخلاق، فأولهما يؤكد علي الضرورة الفائقة لرفاهية كل من الفرد والمجتمع و للضوابط الخارجية ومن ثم تبرز فكرة أسبقه النسق الاجتماعي***

([11]) المرجع السابق، ص ص 1504 - 1506.
([12]) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص ص 50 ، 136.

أنطولوجيا ومنهجيا علي المشاركين فيه إما الفكرة المحورية في العلم الثاني فتتمثل في الاستقلالية النسبية للإنسان القادر علي تحقيق إمكاناته الكامنة بصورة كاملة وعلي خلق نظام إنساني حق حالما يتحرر من القيود الخارجية فقط ، وهكذا فإن المجتمع يخلقه أعضاؤه وهو نتاج لصياغتهم للمعني والأفعال والعلاقات التي يحاولون من خلالها أن يفرضوا هذا المعني علي مواقفهم التاريخية [13]"

بالنظر إلي هذه الثنائية يتبين إنها لا تعدو أن تكون سوي صورة مكررة من ثنائية الفرد/المجتمع ، الفعل/البناء ، وذلك الترابط هو ما أكده ديريك ليدر *Derek Layder* في مؤلفه فهم النظرية الاجتماعية 1994 *Understanding Social theory* ، حيث أشار إلي أن النظرية الاجتماعية اتجهت إلي الانتظام حول ثلاث ثنائيات رئيسية مترابطة ، ويمكن التفكير في كل عمود من العمودين بالجدول التالي علي أنه عناقيد من المفاهيم المترابطة .

جدول (1) الثنائيات النظرية الرئيسية في علم الاجتماع

وحدات صغري (ميكرو)	وحدات كبري (ماكرو)
الفعل	البناء
الفرد	المجتمع

وبالرغم من ذلك الترابط بين تلك الثنائيات فإن أهم ما قدمه ليدر تمييزه بين ثنائية الفعل/البناء والوحدات الصغري/ الكبري بقوله: " إذا كان الفعل/البناء يشير من حيث المبدأ إلي الملامح الصغري/الكبري للحياة الاجتماعية فإن التفرقة بين الوحدات الكبري/الصغري تتعلق أساسًا بالاختلاف في مستوي التحليل ونطاقه...؛ فعلي سبيل المثال تتصل الظواهر الصغري بالجوانب الشخصية والخاصة بالسلوك المباشر (الوجه للوجه) مثل التصنيف الفئوي في قاعة الدراسة، وتتعلق الظواهر الكبري بالظواهر اللاشخصية التي تحدث علي نطاق واسع مثل علاقة النظام التعليمي بالاقتصاد "[14].

([13])جوردون مارشال، مرجع سابق، ص ص 1267 ، 1268.

([14]) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص 170.

3. التوجه الأيديولوجي للنظرية

سبق وأن أشرنا في بداية هذا الفصل إلي الدور البارز الذي لعبته التغيرات البنائية التي أصابت المجتمع الأوربي في مطلع القرن التاسع عشر . بفعل الثورتين الفرنسية والصناعية . في ظهور علم الاجتماع كاستجابة فكرية إزاء تلك التغييرات، فإن هذه التغيرات ذاتها لعبت أيضا دورًا بارزًا في تبلور اتجاهين أيديولوجيين توارثهما علم الاجتماع خلال تاريخه الحداثي، وذلك لأن تلك التغيرات أحدثت جدلاً فكريًا واسعًا بين المفكرين الذين انقسموا في مواقفهم إزائها وإزاء فلسفة التنوير ذات الطابع النقدي إلي فريقين؛ الأول: مثل الفكر التقليدي الإيجابي الذي" اتخذ موقف معارض لفلسفة التنوير وأخذ يناهض الثورة واعتبر نزعة التحدث التي جاءت بها الثورة شر"[15] يهدد استقرار النظم الاجتماعية لذلك وجه هذا الفريق جهده في البحث عن كيفية تخطي أزمة النظام والوصول إلي الاستقرار دون المساس بمصالح الطبقات المسيطرة سواء الإقطاعية أو الرأسمالية، أما الفريق الثاني: فمثل الفكر النقدي السلبي الذي أنطلق من فلسفة التنوير في نقد النظام السالب لحرية الفرد[16].

وبظهور علم الاجتماع ومن خلال تصديه لمشكلات النظام وتشخيصه لطبيعة المشكلات البنيوية والفكرية التي سادت القرن التاسع عشر نجده أستوعب التيارين الأيديولوجيين السابقين، وقدم في ضوئهما نموذجين متعارضين من الفهم والتفسير في النظرية السوسيولوجية، **النموذج الأول:** هو ما سمي بالتفسير أو التوجه المحافظ الذي اتخذ من المحافظة علي النظام الرأسمالي هدفًا أساسيًا بتأكده علي أهمية التكامل وتبرير الأوضاع الراهنة، وبأن المجتمع لديه ميل عام نحو التكيف والاستقرار وإعادة التوازن، **النموذج الثاني:** هو ما سمي بالتفسير أو التوجه الراديكالي النقدي الذي سعي إلي نقد

([15]) أحمد زايد، مرجع سابق، ص 60.
([16]) أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص 44.

النظام الاجتماعي وإلي إدراك علاقات التناقض الأساسية في المجتمع وكشف العلاقات الحقيقية السببية التي تفسر نشأة الظواهر الاجتماعية وتطورها[17].

جدير بالإشارة إن كلا الاتجاهين يعمل في صالح تحقيق أهداف أيديولوجية معلنة أو مستترة ، وتتمثل أهداف الاتجاه المحافظ في تحقيق استقرار النظام القائم (الرأسمالي) خوفًا من التفكك الأخلاقي الراديكالي ، بل أن البعض من أصحاب هذا الاتجاه يرون أن العودة إلي النظام القديم (الإقطاعي) فيه استقرار أكثر من التحول إلي نظام آخر أو علي أقل تقدير المحافظة علي كيان المجتمع في مرحلته الراهنة ، بينما تتحدد أهداف الاتجاه الراديكالي في التأكيد علي أهمية النظام كخطوة (أو مرحلة انتقالية) في سبيل زيادة حدة التناقض؛ وبالتالي التحول من خلال الصراع الطبقي إلي مجتمع أفضل والتحول نحو نظام اجتماعي جديد [18].

ومع تطور ونضوج علم الاجتماع أصبح هذان الاتجاهان القطبين الأساسين في علم الاجتماع من حيث " تأثيرهم الواضح والملموس علي مسارات التنظير في علم الاجتماع، وأصبح كل منهما بمثابة إطار يضم في داخله العديد من محأولاًت التنظير التي يوحد بينها نظرتها للمجتمع والإنسان وما يحيط بهما من عوالم، وفي ذلك يؤكد ميلز علي أن المواقف السوسيولوجية الأساسية التي عبرت عنها محأولاًت التنظير إما إنها أخذت موقفا موجبا مؤيدا ومبررا للنظام القائم، وإما إنها أخذت موقفا سالبا نقديا لتجاوز النظام القائم، وخلال هذا التطور لهذين الاتجاهين تعددت مسمياتهما التي منها: الوظيفية والجدل ، التكامل والصراع ، البنائية الوظيفية والبنائية التاريخية ...إلي أخر هذه المسميات التي تتفق جميعها في المضمون"[19].

وفي أحدى مراحل تطور علم الاجتماع تجسد الفكر الأيدلوجي المحافظ ليشكل الاتجاه البنائي الوظيفي بروافده المتعددة معتمدا علي أسس الفكر التقليدي ووقف أمام

([17]) زكى عبد المجيد زكى ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت : دراسة تحليلية لتقدير كفاءة النظرية في فهم واقع العالم الثالث ، رسالة دكتوراه كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1995 ، ص 18.

([18]) أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص 56.

([19]) عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1981، ص ص 62- 64.

تيارات راديكالية جديدة ظهرت في صورة أكثر تحررا من الفكر الأيدلوجي النقدي التقليدي[20]، ومن أبرز صورها الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت والفكر النقدي الذي أرسته مدرسة التبعية.

القضايا الأساسية في النظرية السوسيولوجية في مرحلة الحداثة.

إن الوقوف علي الموضوعات والقضايا التي انشغلت بها النظرية السوسيولوجية خلال تاريخها الحداثي يمكن أن يتم بإحدى منهجيتين، **المنهجية الأولي:** تعترف بالعلاقة التفاعلية بين علم الاجتماع والمجتمع التي في ضوئها يمكن رصد أهم المشكلات والقضايا التي طرحها المجتمع الأوربي خلال تلك الفترة الزمنية وفرضت نفسها علي علم الاجتماع فاستجاب لها بالدراسة، أما **المنهجية الثانية:** فتتمثل في رصد أهم الموضوعات التي اهتم بها أكثر السوسيولوجين تأثيرا في تاريخ النظرية السوسيولوجية.

وسنحاول أن نجمع بين المنهجيتين لتحديد قضايا الاهتمام في النظرية السوسيولوجية مع التأكيد علي إننا سنكتفي بتحديد تلك القضايا دون عرض ما طرح حولها من تحليلات حتي لا نخرج عن الهدف الأساسي لعرض هذه الجزئية؛ ألا وهو وضع أساس للمقارنة بين قضايا النظرية السوسيولوجية في مرحلة الحداثة بالقضايا النظرية السوسيولوجية في مرحلة ما بعد الحداثة.

ونعود للمنهجية الأولي لنؤكد علي أن علم الاجتماع بحكم اهتمامه بالمجتمع وأفراده كان ومازال منذ نشأته وحتى الآن مرآة عاكسة لما يمر به المجتمع من تحولات، وما يكابده من أزمات، وما يعتريه من قضايا؛ لذا نجده " تأسس في العصور الحديثة وهو يعكس اهتمامات وقضايا القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"[21] ؛ فإذا كانت الحداثة بمختلف ظروفها ومتغيراتها وما طرحته من مشكلات . سبق إيضاحها في بداية هذا الفصل . قد خلقت حاجة ملحة لظهور علم للمجتمع يناقش ويدرس تلك الظروف والمتغيرات والمشكلات, فإنها بذلك رسمت المعالم الأساسية لقضايا اهتمام هذا العلم التي تم في ضوئها صياغة أهم مقولاته النظرية التي ظلت متداولة حتى وقت قريب.

([20]) أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص 44.
([21]) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص 132.

ولعل أهم الظروف التي تعرض لها علم الاجتماع بالاهتمام والدراسة تحول المجتمع الصناعي من النظم القديمة إلي النظم الحديثة، فاهتم بتفسير هذا التحول وتوضيح أسبابه ومصاحباته، مما انعكس في أعمال كبار مؤسسي ذلك العلم؛ فنجد دور كايم يولي اهتمامًا كبيرًا بتحول نظم تقسيم العمل وطرحه لمقولات التضامن الآلي والتضامن العضوي، بينما أهتم ماكس فيبر بقضية النمو البيروقراطي والتنظيمي وبعمليات الترشيد العقلي والسلوكي وجميعها مظاهر مصاحبة للتحول الرأسمالي، فضلا عن اهتمامه بالعلاقة بين النزعة العقلية للديانة البروتستنتية وبين نمو الرأسمالية، بينما وجه ماركس كل اهتمامه للأسس المادية في تشكيل الأبنية الفوقية كالثقافة ونظم الدولة والأسرة والدين[22].

وتؤكد هذه العينة من الموضوعات إلى أي مدي وجه علم الاجتماع في بداية تاريخه الحداثي اهتمامه لدراسة وتحليل " الأبنية الكبرى أو بالأحرى الوحدات الكلية للمجتمع الصناعي، ولذلك جاءت تحليلاته كلية تركز علي التحليل الكلي الواسع النطاق حتى وأن بدأت من أصغر وحدات المجتمع كما فعل ماكس فيبر"[23] ومن بعده بارسونز.

ومن ثم ظهر علم الاجتماع بوجه مؤسسي سافر يوجه كل اهتمامه لدراسة النظم والثقافة والأنماط الضابطة ، ولقد تدعم طابعه المؤسسي في تطوراته اللاحقة، حيث لم تستطع هذه التطورات أن تتجنب الصياغات الشكلية والصورية التي تهتم بالعلاقات المؤسسية ، وذلك ما تؤكده تحليلات بارسونز النظرية التي وإن كانت انطلقت من مقولة الفعل الاجتماعي إلا أنها انتهت بالصياغات الصورية حول العلاقات بين الأنساق ومكوناتها [24]، وذلك يؤكد علي حقيقة أساسية مفادها أن علم الاجتماع وجه كل اهتمامه إلي دراسة المشكلات الكبرى التي يواجهها المجتمع كما أنه استجاب لتلك المشكلات بصياغات نظامية ترتفع فوقها وتبحث في عملية التشكيل النظامي (المؤسسي) التي

([22]) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، ص 39.

([23]) المرجع السابق، ص 39.

([24]) المرجع السابق، ص ص 14 - 15.

تحتويها، ولا شك أن علم الاجتماع كان يستجيب بتفسيراته هذه لعملية التحول النظامي في المجتمع التي تعقدت جوانبها وتكاثفت أبعادها [25].

ولقد كان لذلك الأسلوب الذي سلكه علم الاجتماع في الاستجابة لظروف المجتمع أثره الواسع في صياغة المقولات النظرية الأساسية للنظرية السوسيولوجية التي استمرت خلال التاريخ الحداثي لعلم الاجتماع، فقد كانت التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها المجتمع الأوربي أبان الثورتين الفرنسية والصناعية ظرفًا بنائيًا استجابت له النظرية السوسيولوجية بمختلف أيديولوجياتها، فقد كانت تلك التحولات المجتمعية مدعاة لأن يؤكد الاتجاه المحافظ على مقولة النظام وما ترتب عليها من مقولات عدة كالاستقرار والتوازن وفيما بعد الوظيفة ، كما تجسد ذلك في أعمال كونت ودوركايم ومن بعدهما بارسونز وميرتون وجيل كبير من الوظيفيين.

أما الاتجاه الراديكالي النقدي فقد استجاب لتلك التغيرات علي نحو مختلف، فقد اهتم أكثر بإبراز مقولة التغير الاجتماعي وما ترتب عليها من مقولات الصراع والطبقة، كما تجسد ذلك في أعمال ماركس وجرامشي ولوكاش ومن بعدهم لويز كوزر وغيرهم من جيل كبير من الماركسيين، وإذا كانت تلك هي القضايا النظرية التي شكلت محور اهتمام النظرية السوسيولوجية وفقا للمنهجية الأولي ، فهل تختلف إذا ما استعنا بالمنهجية الثانية؟ يمكن أن نتبين ذلك في السطور التالية.

وفقا للمنهجية الثانية نتبين أنه بذلت محأولاًت عديدة لتحديد الخطوط العريضة للنظرية السوسيولوجية أو بالأحرى قضايا الاهتمام الرئيسية ، وحسبنا هنا أن نشير إلي ثلاث من تلك المحأولاًت، فهناك محاولة تشارلز رايت ميلز والذي وضع نصب عينيه أعمال ماركس ودوركايم وفيبر وغيرهم من علماء الاجتماع الكلاسكيين عندما حدد أن هؤلاء المفكرين انشغلوا بثلاث مسائل أساسية هي [26]:

1. ما بناء مجتمع بعينه ككل ؟ (مما يتكون هذا المجتمع؟).
2. ما العلاقة بين الفرد أو الذات . بما فيها أنماط معينة من الأفراد . وهذا المجتمع؟

([25]) المرجع السابق، ص 37.
([26]) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص 133.

3. أين يقف هذا المجتمع من تاريخ البشرية؟

كما قرر تيماشيف من خلال دراسة مطولة عن النظريات السوسيولوجية من بدايات القرن التاسع عشر وحتي منتصف القرن العشرين " إن فحص النظريات السوسيولوجية في الماضي والحاضر يوضح أنها تدور حول مشكلات قليلة ومحدودة، أكثره أهمية ما يدور حول التساؤلات التالية [27]:

- ما المجتمع ؟ ما الثقافة ؟
- ما الوحدات الأساسية التي ينبغي أن نحلل المجتمع والثقافة إليها ؟
- ما طبيعة العلاقة بين المجتمع والثقافة والشخصية؟
- ما العوامل التي تحدد حالة المجتمع والثقافة وتغيرهما؟
- ما علم الاجتماع؟ وما مناهجه الملائمة؟

أما مايك أودنل فيعتمد علي أفكار دوركايم وماركس وفيبر ليحدد في ضوئهما المسائل الأساسية لنظرية علم الاجتماع حيث يقرر إنه ليس بالإمكان تأسيس منظور (نظري) دون التعرض للإجابة عن المسائل السبعة التالية، التي لديه وإن كانت الأهم فهي ليست الوحيدة؛ حيث يقرر أن تلك المسائل السبعة لا تلغي وجود مسائل أخري مهمة أيضا في النظرية السوسيولوجية وتتمثل تلك المسائل السبعة في[28] :

1. مما يتكون المجتمع؟
2. كيف يقوم المجتمع بأداء وظائفه؟
3. لماذا تكون بعض الجماعات في المجتمع أكثر قوة ؟
4. ما الذي يسبب التغير الاجتماعي ؟
5. هل المجتمع بطبيعته في حالة توازن أم صراع؟

([27])نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ص 16، 17.
([28]) مايك اودنيل، مرجع سابق، ص ص 49، 50.

6. ما علاقة الفرد بالمجتمع؟

7. ما الهدف الأساسي من وراء دراسة علم الاجتماع؟

ويقرر اودنيل أن الإجابة على تلك المسائل من جانب دوركايم وماركس وفيبر أسهمت في إنتاج ثلاثة اتجاهات متميزة للفكر السوسيولوجي: الوظيفية التي تدين بالفضل الكبير لدوركايم، والماركسية (ماركس) ، ونظرية الفعل الاجتماعي(فيبر).

بنظرة تأملية لتلك المحأولاًت الثلاث لتحديد الموضوعات الأساسية التي تدور حولها النظرية السوسيولوجية نتبين إنها تدور تقريبا في حلقة واحدة من الموضوعات تضم ثلاث قضايا رئيسية:

- المجتمع من حيث بناءه ووظائفه والثقافة كأحد مكوناته.
- علاقة الفرد بالمجتمع.
- التغير الاجتماعي من حيث عوامله وطبيعته.

بمراجعة العديد من النظريات السوسيولوجية في تاريخ علم الاجتماع الحداثي يتبين أن المنظورات السوسيولوجية تفاوتت فيما بينها في الاهتمام بكل قضية من تلك القضايا.

فقد أولت **النظريات الوظيفية** اهتماماً كبيراً بالقضية الأولى بناء المجتمع وأدائه لوظائفه وطبيعته، وفي هذا الصدد قدمت مقولات البناء الاجتماعي والنظام الاجتماعي والنسق الاجتماعي وأكدت على دور التكامل والتساند بين مكوناته سواء كانت نظم أو أنساق في تحقيق وظائف الاستقرار والتوازن.

بينما انشغلت **النظريات الماركسية** بالقضية الثانية التغير الاجتماعي والكيفية التي ينتقل بها المجتمع من مرحلة إلى أخرى، وأسست أفكارها عن التغير على الأسس المادية أو بمعنى آخر النظم الاقتصادية، وهي بذلك طرحت مقولات الصراع الطبقي ودوره في تحقيق التغير الاجتماعي للمجتمعات.

أما القضية الثالثة من قضايا اهتمام النظرية السوسيولوجية فهي العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وبمعني أدق أيهما يملك القوة والقدرة علي توجيه الآخر وتشكيله؟ ونجد أن الإجابة علي هذا السؤال شهدت مرحلتين في تاريخ النظرية السوسيولوجية، المرحلة **الأولي:** تلك التي بدأت مع ظهور علم الاجتماع في أوائل القرن التاسع عشر حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية؛ حيث كانت تتخذ معظم النظريات السوسيولوجية . إن لم يكن جميعها . اتجاه يؤكد علي دور المجتمع في توجيه أفراده وتشكيلهم، وينطبق ذلك علي مختلف النظريات السوسيولوجية بمختلف أيديولوجياتها المحافظة والراديكالية، وإن كان هناك اختلاف بينها فهو في درجة سطوة وقوة المجتمع علي الأفراد، ويبقي اتفاقها علي المبدأ العام الذي أسهم في تصنيف هذه النظريات تحت مسمي النظريات البنائية من منطلق إيمانها بأسبقية البناء علي الفعل أو المجتمع علي الفرد، أما المرحلة **الثانية:** من تاريخ النظرية السوسيولوجية فهي المرحلة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وربما لم تنته حتى الآن، وتميزت هذه المرحلة عن الأولي بطرحها تصورًا مختلفًا لعلاقة الفرد بالمجتمع معتمدا علي الإيمان بدور وقدرة الأفراد في تأسيس المجتمع وإضفاء معني عليه بل وتشكيله، وجاء هذا الطرح من مجموعة من النظريات التي جعلت من المعني والقصد الفرديين جزء لا يتجزأ من نظرية علم الاجتماع، وكان من أبرز تلك النظريات التي تبنت هذا الاتجاه التفاعلية الرمزية والإثنوميثودلوجيا والظاهراتية، وعرفت هذه المجموعة من النظريات في الآونة الأخيرة بالمنظورات التأويلية من منطلق اهتمامها بتأويل المعاني التي يتضمنها أفعال الأفراد.

الفصل الثاني: عوامل تطور التيارات الحديثة للنظرية الاجتماعية.

أهم المؤثرات المعاصرة فى علم الاجتماع

إذا كان علم الاجتماع قد تطور من خلال المنظورات الرئيسية التى ناقشناها آنفاً، فإن هناك مجموعة من الحركات المعاصرة التى تضرب بجذورها خارج حدود علم الاجتماع كان لها تأثير ضخم على تطوره. ومن أكثر هذه الحركات تأثيراً نذكر: النسوية، والنزعة المعادية للعنصرية، واليمين الجديد (التاتشرية)، والحركة البيئية أو الحركة الخضراء. كما نناقش الآثار المحتملة لأفول الشيوعية على علم الاجتماع الماركسى وظهور منظور راديكالى بديل عنه.

النسوية: Feminism

كان النساء فى الخمسينيات فى وضع ثانوى وتابع للرجال داخل منظومة علم الاجتماع. ولا نبالغ إذا قلنا أن النساء كن مختفيات من هذا العلم. وما ندعيه ينطبق على أصحاب القوة والنفوذ فى علم الاجتماع – وأغلبيتهم من الرجال – ومحتوى موضوع هذا العلم وعرضه بلغة "ذكورية" واستشهادات من عالم يسوده الرجال. وقد أصبح علم الاجتماع أكثر انفتاحاً على التغير مقارنة بمعظم جوانب المجتمع قياساً بالنوع الاجتماعى (العلاقات الرجالية / النسائية).

ولا يزال العالم اليوم يهيمن عليه الرجال، ولكن يبدو أن هناك ارتفاعاً مضطرداً فى نسبة النساء اللاتى يتمتعن بوضع ومكانة متميزتين فى علم الاجتماع مقارنة بالعلوم

الأخرى، وذلك على الرغم من أنهن يشكلن أقلية. وبتأثير الحركة النسوية أصبح محتوى موضوع علم الاجتماع وعرضه يمر بتغير جذرى (راديكالى) بل بتغير ثورى. ومن المؤكد أن معظم الكتب المدرسية فى علم الاجتماع وغالبية المؤلفات فيه تُكتب الآن بلغة مصطبغة بالنوع الاجتماعى. وثمة اتجاه قوى نحو "تأنيث" محتوى علم الاجتماع. فالعلاقات النوعية Gender Relations – وما يرتبط بها من تحرير المرأة– تشكل موضوعاً فى حد ذاته، إلا أن قضية النظام الأبوى (هيمنة الرجال) ومشكلات المرأة وأولوياتها أصبحت الآن جزءاً من كل موضوع من موضوعات علم الاجتماع. وقد جعل البحث وصياغة المفاهيم والتنظير فى هذا السياق من علم الاجتماع علماً أكثر تنويراً وتحريراً لكلا الجنسين.

النزعة المعادية للعنصرية: Anti-Racism

النزعة المعادية للعنصرية واحد من مصطلحات عديدة يمكن استخدامها للإشارة إلى حركات الاحتجاج على العنصرية ومناصرة المساواة العنصرية، والتى أصبحت من الملامح المميزة لعالم ما بعد الحرب. وإذا نظرنا إلى هذه الحركات نظرة كلية فسوف نجد أن لها بُعْدَين: ثقافى وبنائى. فمن الناحية الثقافية أكدت تلك الحركات على واقع الإنجاز الذى يحققه السود – وهو موضوع أغفلته المناهج الدراسية الرسمية بما فيها علم الاجتماع – واحتجاجها على التفرقة العنصرية بالهجوم على الأنماط الجامدة والدعابات التى تسخر فيها الأعراق من بعضها البعض. وقد حاول كثير من علماء الاجتماع أن يحرروا موضوع العلم من العنصرية، وحدث نفس الشئ فى مجالات أكاديمية أخرى مثل التاريخ. وقد تزايد الاهتمام بحركات السود والقضايا المتعلقة بثقافة السود وعلاقتها بثقافة البيض، ومع ذلك لا تزال هناك قضايا كثيرة بحاجة إلى التحليل.

ويركز البُعد البنائى للنزعة المعادية للعنصرية على افتقاد السود للقوة فى المؤسسات: الاقتصادية والتعليمية وما إليها. وبهذا المعنى أصبحت العنصرية المؤسسية مفهوماً مقبولاً فى علم الاجتماع. وهناك جدل حول ما إذا كان علماء الاجتماع يطبقون القيم المعادية للعنصرية تطبيقاً مؤثراً على تنظيم علم الاجتماع. فهناك أقلية من السود تحتل مواقع مهمة فى علم الاجتماع مثلما هو الحال فى المهن الأخرى. ويستثنى من هذا علم الاجتماع العنصرى نفسه، وإن كان ذلك يعزز من الأنماط الجامدة عن السود.

اليمين الجديد: The New Right

تقوم فلسفة اليمين الجديد فى جوهرها على الاعتقاد فى شكل خاص من أشكال الفردية، وشك مضاد فى سيطرة الدولة وتدخلها. ويعد فلاسفة اليمين الجديد (أمثال روجر إسكروتون) وساسته (مثل نورمان تيبيت) أفراداً راديكاليين، بمعنى أنهم يؤمنون بأقصى حرية ممكنة للفرد. وقد وجدت هذه الأيديولوجية أبرز تطبيق مؤثر لها فى مجال الاقتصاد، حيث أصبح لمدخل "السوق الحرة" تأثير على نطاق عالمى فى العقد الماضى أو نحوه. ومع ذلك فإن اليمين الجديد يعد حركة أخلاقية وثقافية تعادل مضمونها الاقتصادى. واتخذ خطاب اليمين الجديد حماساً إحيائياً من حين إلى آخر، وهنا يلاحظ إعادة إحياء اليمين الجديد منذ انحسار مده فى الستينيات. ويؤمن اليمين الجديد إيماناً راسخاً بأن الرأسمالية هى النظام الاجتماعى – الاقتصادى الوحيد الذى يجيز الحرية الفردية.

وقد أخذ تأثير الفكر اليمينى الجديد على علم الاجتماع بعض الوقت حتى يؤتى ثماره. ففى أواخر الثمانينات كتب ديفيد مارسلاند منتقداً ما ارتآه تحيزاً واضحاً للجناح اليسارى فى المؤلفات المدرسية فى علم الاجتماع، مع أنه لم يطرح تفسيراً سوسيولوجياً عاماً يحتوى منظورات اليمين الجديد. وقد طرح بيتر سوندرز هذا التحليل فى كتابه "الطبقة الاجتماعية والتدرج الطبقى" وأفضلية هذا التحليل على التحليلات الأخرى. ومع ذلك مازلنا بحاجة إلى رؤية الأثر الكلى المحتمل للفكر اليمينى الجديد على علم الاجتماع، وما إذا كان ذلك سيؤدى إلى ظهور مدرسة اليمين الجديد فى علم الاجتماع أم لا.

تأثير أفول الشيوعية على علم الاجتماع الماركسى

ربما تكون الآثار المترتبة على انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية فى علم الاجتماع الماركسى تأثيرات عميقة، إلا أنه من غير المحتمل أن يؤدى ذلك إلى إضعاف الثقة فى علم الاجتماع الماركسى أو التخلى عنه كلية. فعلم الاجتماع الماركسى يختلف اختلافاً تاماً عن الممارسة الشيوعية: السياسية والاجتماعية، فهو – أى علم الاجتماع الماركسى – بمثابة نظرية عن المجتمع، وأغلب تطبيقاتها التفصيلية تنسحب على المجتمع الرأسمالى. ويمكن أن ننظر فى التحليل الماركسى للرأسمالية كشئ منفصل تماماً عن محاولات بناء المجتمعات الشيوعية. وقد أوضح الكاتب المكسيكى أوكتافيو باز هذه النقطة بقوله: "إن فشل الشيوعية فى تقديم إجابات مقنعة لمسائل المجتمع لا يعنى أن تلك المسائل خاطئة". وتستمر الماركسية فى طرح تفسيراتها وتعقيباتها على الفقر واللامساواة، والفساد السياسى الحضرى، وتزايد الجريمة، وصعود ثقافة الاستهلاك فى المجتمع الرأسمالى.

ولا يمكن لعلم الاجتماع الماركسى – مع هذا – أن يظل منظوراً نقدياً فحسب، لا

يستجيب للأحداث التاريخية. وفى تقديرى أن فشل الشيوعية السوفيتية (أو شيوعية القرن العشرين) يقدم درسين لم يتعلم منهما الماركسيون بعد، **أولهما** أن الشيوعية والاشتراكية لابد أن تكون ديموقراطية. فالشمولية (مذهب تجميع السلطة) شر بشرى لا يمكن المخاطرة به مرة ثانية. ولابد أن يكتسب النقد الماركسى للرأسمالية قدراً أكبر من الصلابة والإقناع إذا كان لديه المزيد الذى يقوله بشأن الديموقراطية والمشاركة.

وثانى هذين الدرسين أنه أصبح من البديهى الان أن الأسواق الحرة عليها أن تعمل لتوفير معظم السلع والخدمات من منطق الاختيار والكفاءة (هذا على الرغم من أن التعاونيات وكذا المشروعات الرأسمالية بوسعها أن تتنافس فى الأسواق الحرة. وأن هناك بعض السلع أو الخدمات – مثل الصحة – لابد من توفيرها على أساس الحاجة بدلاً من القوة الشرائية للفرد). وربما تكون الشيوعية التى تتسم بالديموقراطية وترحب بالأسواق الاقتصادية شيئاً لا يختلف عن الاشتراكية الديموقراطية. وإذا تقبل علم الاجتماع الماركسى هذه الفرضيات، فسوف يبدأ فى فقدان سماته المميزة له، ويتم احتواؤه فى منظور أو مدخل سوسيولوجى راديكالى أكثر عمومية.

علم الاجتماع الراديكالى: Radical Sociology

هناك إدعاء قوى مؤداه أن الماركسية لم تعد فى الواقع هى علم الاجتماع البديل الرئيسى عن علم الاجتماع الوظيفى / الرأسمالى. فقد اتضح لنا مما سبق أن جانباً كبيراً من علم الاجتماع ظهر منذ الستينيات ليعكس المنظورات النسوية والمعادية للعنصرية. أضف إلى ذلك أن معظم التحليلات السوسيولوجية لعدم المساواة الطبقية لم تقم على افتراضات ماركسية رصينة (وهى الافتراضات التى اختلف بشأنها الماركسيون فى كل الأحوال). وأصبحت أضلاع مثلث عدم المساواة (النوع الاجتماعى، السلالة، الطبقة) هى محور اهتمام ما يمكن أن نطلق عليه: "علم الاجتماع اليسارى الراديكالى". وإذا قبلنا الادعاء بوجود علم اجتماع راديكالى عام، فإن ثمة اتجاهاً واضحاً لدى علماء الاجتماع المهتمين بضلع واحد من هذه الأضلاع الثلاثة أن يهتم أيضاً – بدرجة أو بأخرى – بالضلعين الآخرين.

ومن الخصائص الأساسية لعلم الاجتماع الراديكالى أنه ينتقد اللامساواة فى المجتمع الراهن، وأنه يهتم بإمكانية تغييرها. وقد عبر عن هذه الخصائص تعبيراً واضحاً هوارد شيرمان وجيمس وود فى كتابهما "علم الاجتماع: المنظورات التقليدية والراديكالية" بقولهما:

"يحاول علم الاجتماع الراديكالى أن ينظر فى الترتيبات الاجتماعية من

منظور الجماعات المضطهدة مثل الفقراء، والعاطلين، والعاملين، والسود، والأقليات الأخرى، والنساء. ومن هذا المنطلق ينصرف علم الاجتماع الراديكالى بعناية إلى المؤسسات الرئيسية فى المجتمع الرأسمالى، حيث يهتم بكيفية وصول تلك المؤسسات – اجتماعية وسياسية واقتصادية – إلى أشكالها الحالية، ومن هم المستفيدون منها، وعما إذا كان التغير الجذرى فى المجتمع ممكنا وضروريا. وأخيرا يهتم علم الاجتماع الراديكالى بالبدائل المحتملة للتنظيم الاجتماعى الحالى".

(Sherman & Wood, ١٩٨٢: Preface)

ولابد لنا أن نضيف أن علم الاجتماع الراديكالى عليه الاهتمام بالحرية الإنسانية قدر اهتمامه بتحقيق مزيد من المساواة. إن فشل الشيوعية فى أوروبا الشرقية – خاصة فى مجال الاضطهاد وإنكار الحقوق الإنسانية والمدنية – يجب أن يوضح أن أية محاولات لتحقيق مزيد من المساواة على حساب الحريات الأساسية لن تحقق لا هذا ولا ذاك. ولابد من وجود تحليل رصين للعلاقة بين الحرية والمساواة، وللتوازن المطلوب بينهما.

وأخيراً فإن اهتمام علماء الاجتماع الراديكاليين بالاضطهاد واللامساواة اهتمام يتزايد على المستوى الكونى لا على المستوى الوطنى الضيق، وهذا ما يعكس الطبيعة المتشابكة للمجتمع الكونى. وسوف نعالج هذه القضية باختصار فى الجزء التالى.

النزعة البيئية: Environmentalism

برز الوعى بالبيئة والاهتمام بها خارج نطاق علم الاجتماع، شأنه فى ذلك شأن الحركات الأخرى التى ناقشناها من قبل. والحقيقة أن علم الاجتماع – حتى وقت حديث – كان أبطأ فى تجسيد منظور بيئى مقارنة بالمنظور النسوى أو المنظور المعادى للعنصرية على سبيل المثال. وتفسير ذلك مرده أنه إذا كانت النسوية والنزعة المعادية للعنصرية تركز على جماعات اجتماعية بعينها، فإن حالة البيئة ليست من شأن أية جماعة على وجه الخصوص، مع أن البيئة تؤثر فى كل فرد.

ومع ذلك فقد مست النزعة البيئية علم الاجتماع مساً وثيقاً فى مجال التغير الاقتصادى وما يرتبط به من تغير اجتماعى. ومن هنا تزايد اهتمام علماء الاجتماع بتحليل الاستثمار الاقتصادى من عدمه فى بريطانيا وعلى المستوى الدولى من حيث تأثيره على الناس من جانب، وعلى البيئة من جانب آخر. وتركز تحليلات المجتمع المحلى الآن على استقرار الناس فى سياقات بيئية وكذا سياقات اجتماعية، وكلاهما يرتبط بالتنمية الاقتصادية أو انعدامها. ولذلك يُنظر فى انحسار المناطق الحضرية الداخلية

واحتمالات إعادة إحيائها على أنها قضية معقدة: اقتصادية واجتماعية وبيئية. ويعنى الفساد الحضرى: البطالة، وبيئة صناعية متدهورة، وانعدام الفرص، والفساد الأخلاقى، والاستياء. ولسنا واضحين بعد على ما يعنيه إعادة إحياء هذه المناطق.

ويحدث التكامل فى التحليلات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية فى مجال التنمية والتخلف الدوليين. فهناك وعى متزايد – على سبيل المثال – بأن الشركات متعددة الجنسيات تستطيع أن تسحق المجتمعات المحلية، وما لم تسيطر الحكومات على تلك الشركات، فإنها قد تفعل ذلك دون أدنى مسئولية. هذا بالإضافة إلى تنامى الوعى بالتدمير البيئى الذى تحدثه التنمية الاقتصادية فى بعض الأحيان ويترك أثره على الناس وكوكب الأرض، والوعى بالمخاطر الناجمة عن إهمال هذا التدمير وتركه كدين ثقيل للأجيال المقبلة.

العولمة: Globalization

يحاول علم الاجتماع أن يكيف نفسه ليتصارع مع العولمة المتسارعة. وتحدث هذه الظاهرة سياسياً (التحرك إلى مزيد من التعاون الأوروبى على سبيل المثال)، وثقافياً (عبور الإعلام والديانات الحدود الدولية)، واقتصادياً بطبيعة الحال. وقد واصل علم الاجتماع سعيه الدؤوب إلى تفسير هذه التغيرات فى سياق "عالم متشابك" أو "قرية كونية" بلغة مارشال ماكلوهان.

- المتغيرات البنائية المميزة للنصف الثانى للقرن العشرين

على المستوى السياسي: يمكن أن نشير إلى أن أهم التغيرات السياسية تتمثل في سقوط الأنظمة الشمولية في الغرب أثناء عام 1970 ، وانهيار الدولة الاشتراكية في نهاية 1980[29]، الأمر الذي أدى إلى تغير الانقسام بين المجتمعات الصناعية ومجتمعات العالم الثالث بسرعة من السيادة الاقتصادية للدولة القومية إلى سيطرة المصالح الرأسمالية عابرة القوميات، وإلى ظهور ما يطلق علية الآن النسق الكوني الثلاثي (توفلر 1993) ؛ حيث تتشكل المجتمعات الصناعية ومجتمعات العالم الثالث باقتصاديات ترتكز على الاتصالات والتكنولوجيا فائقة السرعة[30]، وفي ضوء تلك الثورة الكونية تغيرت الوظيفة السياسية للدولة؛ فلم تعد وظيفة الدولة هي ضبط مصالح الأمة وحقوقها مثلما كان في أفق الحداثة بل أصبحت التسابق لاحتلال مكانة داخل النسق العالمي، والاضطلاع بمهام عولمة الاقتصاد، وتصدير النموذج الحضاري

([29]) ناهد أحمد سيف , مرجع سابق, ص 78.

([30]) سيد محمد علي فارس, مرجع سابق, ص22.

والثقافي إلى مختلف أرجاء المعمورة، من ثم تشـــكلت الدولة القومية في إطار عالمي لتمثل وحدة من وحدات التكامل السياسي في ظل نظام تتعايش فيه هياكل عبر قومية، مما يؤكد ظهور نظام عالمي جديد نحيا في سياقه تذوب بمقتضاه الحواجز والمسافات بين الدول والقارات من خلال الثورة الاتصـــالية والمعلوماتية الهائلة التي يشـــهدها هذا العصر، مما يزيد من إمكانية التأثير والتأثر المتبادلين[31]؛مما يهدد الهويات الفردية أو ما يطلق عليه البعض "توحش الدولة على حساب الفرد (الريجانية والتاتشرية)" [32].

وعلى المستوى الاقتصادي: يمكن أن نرصد تقدم المجتمع الصناعي الأوربي والأمريكي ـ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ـ إلى مرحلة الرفاهية الاستهلاكية التي تسود فيها حضارة البدائل الصناعية وعقلية اللعب والتفكيك وفلسفة الاختلاف، وتنحسر في الوقت نفسه الرؤية التاريخية ومفاهيم العدالة الاجتماعية [33] ؛ وبذلك انتقل النظام الاقتصادي من التصنيع(الصناعة التحويلية) إلى الاقتصاد الخدمي اللامركزي حيث يلعب العلم ونظم التكنولوجيا المعقدة دوراً في ذلك الصـــدد [34] ، وتميز ذلك النظام الاقتصـــادي الجديد بخاصـــية اللاتمايز التي تجسـدت في إبطال كل من البيروقراطية وتقســـيم العمل في خط التجميع. ينظر لهذه الاتجاهات كجزء من تغير طبيعة الإنتاج في الاقتصاد العالمي منذ عام 1960 ، ودرست تحت مسمى التقسيم الصناعي الثاني (Piore and Sable 1984)، آو ظهور الرأســـمالية غير المنظمة (Lash and Urry 1987) [35] ، أو اتجاهات ما بعد الفوردية، وتميز ذلك النظام إلى جانب التعدد والتفكك (واللا تمايز) بظهور الشـركات متعددة الجنسـيات عابرة القوميات فضـلاً عن ازدهار نســق الاتصـــالات الكونية، وحدوث تقدم هائل في مجال التكنولوجيا خاصـــة

([31]) ناهد أحمد سيف, مرجع سابق, ص ص 71, 81, 82.

([32]) مهدي بندق, سوسيولوجيا المسرح الشعري في مصر, الاسكندرية, دار تحديات ثقافية, ط1, 2005, ص15.

([33])سيد محمد على فارس, مرجع سابق, ص 22.

([34])A.Preda,Op.Cit.,p11866.

(35) Edgar F Borgatta,& Marie L Borgatta, Op.Cit., p2200.

تكنولوجيا الاتصـــال[36]، وبذلك تحولت العقلانية إلى الأداتية (ســيادة الســوق وليس السوسيولوجيا)[37].

وعلى المستوى الثقافي:"يحدد *Bareman* ثلاثة أوجه للتغير الثقافي المعاصر:

1. انعدام قومية الدولة أو الخصوصية القومية ـــ أو بمعنى أوضح الفصل بين الدولة والقومية ـــــ أدى بشـــكل أو بأخر إلى إعادة انبعاث للعرقية، نتيجة الانفصال بين عضوية الفرد السياسي والعضوية الاثنية.
2. فقدان الثقافة لدورها الأدائي في خدمة إعادة الإنتاج النسـقي وضـمان التكامل الاجتماعي.
3. التأكيد على فكرة التعددية الاثنية والثقافية من خلال الملامح النمطية لثقافة ما بعد الحداثة المعاصرة." [38]

وإذا ما حاولنا توضـيح وتفصـيل تلك العناصـر التي وضـعها بارمان سـنتبين أن تشـــكل ما يعرف بما بعد الحداثة (كحالة مجتمعية) يعد انعكاسًـــا مزدوجًا لكلٍ من التجســـيدات الإعلامية من ناحية، والحياة اليومية من ناحية أخرى، وهما في معظم الأحوال يختزلا العديد من الإشـــارات والعلامات الهامة التي تعبر عن الهويات الثقافية الأساسية التي تجسدها ما بعد الحداثة:النوع، والطبقة الاجتماعية، والعنصر (العرق) والاثنية (السـلالة)[39]، فلقد أدت اللامركزية إلى جانب تغلغل الخبرة والنظم التكنولوجية في كل مجالات الحياة اليومية إلى تفتيت وتنويع الهويات الاجتماعية وبرزت الوسـائط التكنولوجيـة (التليفزيون، والكمبيوتر، والفيـديو) في تكوين وتقديم الحقيقـة الاجتمـاعيـة، فلقد انتشـرت الرموز المرئية واللغوية على نحو واسـع، بينما تنوعت واتسـعت أشـكال الثقافة الجماهيرية (الشـــعبية)، لذلك اتســـم المجتمع بالتجزؤ والتباين، واتخذ النظام الاجتماعي دائما طابع محلي وسياقي، وأصبح يعمل كمجمع للشفرات الرمزية، ويعتمد

([36]) ناهد أحمد سيف, مرجع سابق, ص 77.

([37]) مهدي بندق, مرجع سابق, نفس الصفحة.

([38]) ناهد أحمد سيف, مرجع سابق, ص 85.

([39]) Norman K Denzin, Postmodernism, Op.Cit.,P582.

الإنتاج والاســـتهلاك والتدرج الاجتماعي، وكذلك الهويات الفردية والجماعية على مثل تلك الشـــفرات وتفهم جميعها باعتبارها مســـاند ونتاج للفعل الاجتماعي [40]، وبذلك تحددت معالم ما بعد الحداثة بشكل خاص بمصطلحات بصرية تشمل عرض، أيقونة (رمز) ، تجسـيد الحقيقة المرئية من خلال عدسـات الكاميرا وشـريط الفيديو والصـورة السينمائية، فالبحث عن اللحظة ما بعد الحداثية هي دراسة في المشاهدة، فليس هناك سبيل أخر باعتبار أن هذا العصر عصر تليفزيوني وسينمائي[41].

([40]) A.Preda,Op.Cit.,p11866.

([41]) Norman K Denzin, Postmodernism, Op.Cit.,P582.

الفصل الثالث:
الوظيفية الجديدة

تمهيد

ظلت البنائية الوظيفية خاصة في أعمال تالكوت بارسونز، وروبرت ميرتون بالإضافة إلى طلابهم وأتباعهم النظرية الاجتماعية السائدة لسنوات عديدة. لكنها تراجعت. مؤخرا. على الأقل في بعض النواحي خلال تاريخها الحديث. وينعكس هذا التراجع في وصف كولمي عام 1990 للبنائية الوظيفية باعتبارها. تراثاً نظريا تقليديا ومع ذلك، يرى بعض المفكرين المعاصرين أن هناك أدوات مفيدة للتحليل الاجتماعي في أعمال بارسونز ويستمرون في تقديم التحليلات التاريخية. والنظرية؟ وفضلا عن ذلك. حاول العديد من العلماء على مر السنين، مراجعة أو توسيع نطاق البنائية الوظيفية، وفي الثمانينيات من القرن العشرين. ركز جيفري ألكساندر. على أعمال تالكوت بارسونز. بهدف تطوير. علم اجتماع وظيفي جديد. وفي الآونة الأخيرة، تم وصف. نظرية الانساق التي طورها عالم الاجتماع الألماني. نيكولاس لومان. باعتبارها نسخة جديدة. للبنائية الوظيفية. رغم أن أعمال. لومان ليست معروفة على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أنه معترف به دولياً كواحد من أهم المنظرين الاجتماعيين المعاصرين.

الوظيفية الجديدة: روبرت ميرتون

رغم أن تالكوت بارسونز هو أهم منظر بنائي وظيفي فقد قدم تلميذه روبرت ميرتون بعض أهم الإسهامات حول البنائية الوظيفية بعلم الاجتماع، فلقد انتقد ميرتون بعض الجوانب الأكثر تطرقاَ والتي لا يمكن الدفاع عنها في البنائية الوظيفية ، ولكن بالقدر نفسه من الأهمية ساعدت تصوراته المفهومية الجديدة على منح البنائية الوظيفية فائدة مستمرة .

ورغم أن كلا من ميرتون و بارسونز يرتبطا بالبنائية الوظيفية فإن هناك اختلافات هامة بينهما:

- فبينما دافع بارسونز عن بناء نظريات كبرى وشاملة فضل ميرتون النظريات متوسطة النطاق المحددة.
- كما أن ميرتون كان أكثر تفضيلا للنظريات الماركسية مقارنة ببارسونز، في الواقع يمكن أن نقول أن ميرتون وبعض طلابه وخاصة آلفن جوردن قد دفعوا البنائية الوظيفية إلى اليسار السياسي.

نموذج وظيفي بنائي جديد انتقد ميرتون ما اعتبره الفرضيات الثلاث للتحليل الوظيفي كما طورها علماء الانثربولوجيا مثل مالينوفسكي وراد كليف براون، كانت أولى تلك الفرضيات افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع حيث تشير هذه الفرضية إلى أن جميع المعتقدات والممارسات الاجتماعية والثقافية الموحدة هي وظيفية للمجتمع ككل وكذلك للأفراد في المجتمع ويشير هذا الرأي إلى أن الأجزاء المختلفة من النسق الاجتماعي يجب أن تظهر مستوى عالياً من التكامل ومع ذلك أكد ميرتون أنه برغم أن هذا قد يكون صحيح في المجتمعات الصغيرة البدائية فإنه لا يمكن توسيع هذا التعميم ليشمل مجتمعات أكبر وأكثر تعقيدًا.

وكانت الوظيفية العالمية هي الفرضية الثانية التي رفضها ميرتون وهذه افترضت أن جميع الأشكال والبني الاجتماعية والثقافية مجتمعة لها وظائف إيجابية بالضرورة جادل ميرتون أن هذا يتناقض مع ما نجده في العالم الحقيقي، فمن الواضح أنه ليس لكل بناء أو عادة أو فكرة أو قناعة وظائف إيجابية ، على سبيل المثال يمكن أن تكون القومية الضارة مختلة إلى حد كبير في عالم تنتشر فيه الأسلحة النووية.

كانت الفرضية الثالثة التي رفضها هي فرضية الضرورة أو الضرورية أو الحتمية والتي كانت تقول أن جميع الجوانب الموحدة للمجتمع ليس لها وظائف إيجابية فحسب بل تمثل كذلك أجزاء لا غنى عنها من العمل ككل، تقود هذه الفرضية إلى فكرة إن جميع البنى والوظائف لها ضرورة وظيفية للمجتمع فليس هناك بناء و وظائف أخرى يمكن أن تعمل بصورة جيدة مثل الموجودة في المجتمع حاليا، كان

نقد ميرتون متبعا أستاذة بارسونز هو أنه يجب علينا على الأقل أن نكون مستعدين للاعتراف بأن هناك بدائل بنائية ووظيفية مختلفة يمكن العثور عليها داخل المجتمع.

رأى ميرتون أن جميع هذه الافتراضات الوظيفية تعتمد على تأكيدات غير تجريبية مبنية على أنظمة نظرية مجردة، كحد أدنى يتحمل عالم الاجتماع مسؤولية فحص كلا منها تجريبيا، إن اعتقاد من ميرتون بأن الاختبارات التجريبية لا التأكيدات النظرية حاسمة بالنسبة للتحليل الوظيفي هو ما دفعه إلى تطوير نموذج للتحليل الوظيفي كدليل للتكامل ما بين النظرية والبحث.

لقد أوضح ميرتون من البداية أن التحليل البنائي الوظيفي يركز على الجماعات والمنظمات والمجتمعات والثقافات وذكر أن أي شيء يمكن أن يخضع للتحليل البنائي الوظيفي يجب أن يمثل عنصرا معياريا أيضا، نمطاً وقابلاً للتكرار، كان ميرتون منشغلا بأمور مثل الأدوار الاجتماعية والأنماط المؤسسية والعمليات الاجتماعية والأنماط الثقافية والعواطف ذات النمط الثقافي والمعايير الاجتماعية والتنظيم الجماعي والبناء الاجتماعي وأجهزة الضبط الاجتماعي وما إلى ذلك.

يميل البنائين الوظفيون المبكرون إلى التركيز على وظائف بناء اجتماعي أو مؤسسة إجتماعية بالنسبة للبنى والمؤسسات الأخرى ومع ذلك رأى ميرتون أن المحللين الأوائل مالوا إلى الخلط ما بين الدوافع الذاتية للأفراد ووظائف البناء أو المؤسسات يجب أن يكون تركيز المحلل البنائي الوظيفي على الوظائف الاجتماعية لا الدوافع الفردية، الوظائف وفقا لميرتون **إذا هي النتائج الملحوظة التي تعزز تكييف أو تعديل نظام معين** ومع ذلك هناك انحياز أيديولوجي واضح عندما يركز المرء على التكيف أو التعديل فحسب، حيث إنها تكون نتائج إيجابية دائمة من المهم ملاحظة أن إحدى الحقائق الاجتماعية يمكن أن تكون لها عواقب سلبية بالنسبة لحقيقة اجتماعية أخرى لتصحيح هذا القصور الخطير في البنائية الوظيفية المبكرة طور ميرتون **مفهوم الخلل الوظيفي أو الاختلال الوظيفي** مثلما يمكن للبناء والمؤسسات

المساهمة في الحفاظ على أجزاء أخرى من النسق الاجتماعي فقد تكون لها عواقب سلبية كذلك فالعبودية في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة الولايات الجنوبية كانت لها عواقب إيجابية على الجنوبيين البيض مثل توفير العمالة الرخيصة ودعم اقتصاد القطن والوضع الاجتماعي، كما كانت لديها اختلالات مثل إفراط الجنوبيين في الاعتماد على الاقتصاد الزراعي مما جعلهم غير مستعدين للتحول الصناعي، يمكن أن يرجع ذلك التفاوت المستمر بين الشمال والجنوب في التحول الصناعي إلى الخلل الوظيفي بمؤسسة العبودية في الجنوب جزئيا.

كما اقترح ميرتون كذلك فكرة ألا وظيفية والتي عرفها باعتبارها عواقب لا علاقة لها بالنظام المحدد وقد يتم تضمين الأشكال الاجتماعية الناجية من العصور التاريخية السابقة ورغم أنه قد تكون لها نتائج إيجابية أو سلبية في الماضي فإنها لا يكون لها تأثير كبير على المجتمع المعاصر.

ان ميرتون قدم موقفاً مخالفاً لغالبية مفكري الاتجاه الوظيفي، اذ نجده يقترب كثيراً من الموقف والتصور الماركسي ويبتعد كثيرا عن استاذه بارسونز في بعض القضايا، وذلك من خلال ثلاثة جوانب اساسية مهمة هي:

–انه يحاول الغاء أي التزام ايديولوجي عن الاتجاه الوظيفي، فهو على حد رأيه في الوظيفي ان يمكن أن يقف موقفاً ايديولوجياً راديكالياً بقدر ما أن بإمكانه تبني موقفاً محافظاً.

–قراءته لواقع المجتمع الامريكي بقراءة ورؤية يستشهد بها بالرؤية الماركسية فهو يؤكد كثيراً على وجود ظواهر التغير والصراع والتناقض، وهي الظواهر والمظاهر التي تهدد بتحوّل كبير في البناء الاجتماعي ككل.

–استخدامه لمصطلحات ومفاهيم قريبة من اللغة الماركسية كرفض مسلمة الوحدة الوظيفية، وتأكيد امكانية بناء اسناد المجتمع الى عدم التكامل بدلاً من التكامل.

–ومن خلال هذا الانقلاب الفكري قدّم ميرتون تصوراً جديداً لخصائص ونطاق الاتجاه الوظيفي المحافظ. اذ أعاد تنظيم مسلمات الفكر الوظيفي (2)، وحدد فيه ماهو صحيح وصادق في مسلماته الوظيفية، وماهو باطل. ثم حدد القضايا والمشكلات التي يجب توفرها لدى الوظيفية لصياغة حلول لها. وانتقد بنفسه قبل انتقاد الماركسية الاتجاه المحافظ ويؤكد أن التحليل الوظيفي يعاني من التحيز نحو موقف محافظ ومضاد للتغير ومتعنت لفكره ويتضح ذلك من خلال معالجته لقضايا التناقض والتغير والصراع على أنها قضايا تصور متغيرات النسق الرئيسية.

في رأي ميرتون أن عملية التغير لا تعكس فقط تباين المصالح داخل النسق، بل تعبّر أيضاً عن احتمال حدوث الصراع، ومن شأن هذه القضية أن تضع الصراع في جوهر النسق الاجتماعي. مما يعني أن ميرتون لم يكن بعيداً في هذا المجال عن كارل ماركس.

ومع ذلك لم يختلف ميرتون مع بارسونز اختلافاً صريحاً، بحيث أنه كانت الحالة الأساسية للنسق من وجهة نظر الوظيفية هي حالة التوازن والتكامل، فإننا نجد أن تالكوت بارسونز يؤكد على أن النسق الاجتماعي في حالة تلاؤمية مستمرة، يستهدف دائماً تحقيق التوازن الدينامي أو المتحرك، حتى أصبح هذا السعي الأخير هو الحالة الدائمة للنسق، ونجد الى جانبه أن ميرتون قد طوّر هذا الجانب والموقف ليؤكد أنه مثلما تشكل حالة التكامل والتوازن الحالة المرجعية للنسق فإنه من الممكن أيضاً ان يستند النسق الى عدم التوازن أو عدم التكامل[4].

تكمن أهمية تحليلات ميرتون في تطور الاتجاه الوظيفي من خلال تحديثه، وذلك من خلال الاضافات والتحليلات والتفسيرات الجديدة، كمحاولة منه للتعرّف على التحليلات الوظيفية وعلى الأخص العلاقة المتبادلة بين البناء Structure والوظيفة Functionوهذا ما جعل ميرتون يطرح نوعين من الوظائف التي تظهر في البناءات والأنساق الاجتماعية وهــي:

الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة[1].

–**الوظائف الظاهرة:** وهي ذلك النوع من الوظائف التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها بصورة سهلة وسريعة، والتي تعكس عموماً أهداف محددة للحفاظ على النسق أو الأعضاء الذين يشاركون فيه. أوهي تلك الوظائف الموضوعية التي تساهم بصورة ارادية في تكييف كيان معيّن.

–**الوظائف الكامنة:** وهي مجموعة الوظائف التي لا يمكن أن تظهر بصورة ظاهرة بل مستترة وغير مقصودة ومتوقعة، ولكنها أيضاً تكشف عن اجمالي الوظائف التي يمكن أن تسهم بصورة ايجابية أو سلبية (انحرافية) في نفس الوقت سواء للأعضاء ا والى النسق او التنظيم الاجتماعي ككل.

يعرف ميرتون **الوظيفة** تعريفا موضوعياً بإنها:" نتائج يمكن ملاحظتها تحقق توافق وتكيف النسق

" كما يعرف **المعوِّق الوظيفي** على انه:" نتاج يقلل من امكانية تحقيق هذا التوافق والتكيف "[2]. لم يهتم ميرتون بالجوانب الاستاتيكية بالبناء الاجتماعي، وفي هذا طرح فكرة المعّوق الوظيفي ليشير به الى تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها من تكيف النسق أو توافقه، ويوضح أهمية هذا المفهوم بقوله:" ان مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الدينامية والتغيّر [3]."

ويرى ميرتون أنه لكي نستطيع تفسير وجود ظاهرة اجتماعية معينة علينا ان نبحث عن وظيفتها، أي النتائج المترتبة عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي الأكبر الذي تمثل جزء منها وفي هذا يقول ميرتون :" محور اهتمام البنائية الوظيفية هو تفسير البيانات عن طريق الكشف عن نتائجها بالنسبة للبناءات الكبرى التي تضمها[4]."

إن التفرقة بين وظيفية بارسونز، ووظيفية ميرتون قد تكون مفيدة عند مناقشة المحاولات التي سعت إلي التأليف أو المزاوجة بين الوظيفية والماركسية .. وتذهب هذه المحاولات إلي ان الصراع الطبقي والتناقضات داخل "البناء التحتي" للمجتمع قد يؤديان إلي التمايز الاجتماعي، بينما تعمل المعايير والقيم علي تدعيم الاجماع والتكامل الاجتماعي ، وفى ضوء ذلك يمكن صياغة نموذج نظري يعبر عن "التوازن الدينامي" الذي يستطيع استيعاب مفهومي التغير والاستقرار فى آن واحد . ومعني ذلك أن كلاً من الوظيفية والماركسية يستوعبان مجموعة من العمليات الاجتماعية كالتكامل والتغير والصراع والاجماع، طالما أن النسق الاجتماعي لا يعرف حالة التكامل المطلق أو الانهيار التام.

الفصل الرابع:
الماركسية الجديدة

النظرية الاجتماعية وتيارات النقد الاجتماعي

إن قراءة لتاريخ الفكر الاجتماعي والتنظير السوسيولوجي في علم الاجتماع يكشف عن تفاعل جدلي شامل علي المستوي العقلي للإنسان، يسهم في النهاية في خلق أنساق أو تيارات فكرية تشهد علي اكتمال مرحلي للتفاعل الجدلي في ظل ظروف اجتماعية وتاريخية محددة ، يؤدي في النهاية إلي تبلور سياق فكري شامل ومتكامل ، يسعي إلي تجسيد تصوراته في الواقع الاجتماعي أو الارتقاء بهذا الواقع المعاش حيث التطابق مع نسق الأفكار ، وهو التطابق الذي يشهد على اكتمال مرحلة من مراحل التطور الحضاري للإنسان.

وفى قلب هذا التفاعل الجدلي يكمن جوهر ديناميكية الفكر ويشكل أساساً لقوته الدافعة أو المحركة. إذا يصبح الواقع والفكر على مفترق طرق يضم بصورة مكثفة كل التصورات المحتملة للعلاقة بين الواقع والفكر. ويكشف التصوير السكوني لهذه العلاقة عن تناقض واضح للعناصر المشكلة للوجود الاجتماعي والفكري من ناحية، وعن سعي دائم إلى التلاؤم بين العناصر المتناقضة بحثاً عن الاكتمال من ناحية أخري.

هذا وقد تبدأ الحركة الجدلية بالتناقض بين الفكر والواقع، ولكن سرعان ما تكتمل وتستقر، ثم يعود التناقض للظهور من جديد ... وهكذا يتحقق التطور الحضاري لكلاً من الواقع الاجتماعي والفكر علي السواء.

من هذا المنطلق يتحقق التطور الحضاري علي محورين أو شكلين: الأول حينما يتطور الواقع الاجتماعي والحضاري متجاوزاً نسق الأفكار القائم ، يطرح متغيرات واقعية جديدة تثبت تخلف الأفكار القديمة عن متابعة تفاعلات الواقع وعجزها عن تقديم حلول ناجحة لمشكلاته ، ومن ثم تصبح التطورات الواقعية ظرفاً ضاغطاً يفرض ضرورة تجديد نسق الأفكار حتي يصبح متلائما واحتياجات التفاعل الواقعي ، حلاً للمشكلات وتأسيساً للتكامل والاستقرار، علي المحور الاخر أو الشكل الثاني قد يكتشف الفكر تخلف الواقع الاجتماعي ومن ثم يتولى نقده وتثويره ، تمهيداً لدفعه إلى التطابق – في قلب المستقبل

– مع نموذج لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، في الحالة الأولي يكون الفكر رجعياً أو ماضوياً بالنسبة للمجتمع، بينما يصبح في الحالة الثانية نقدياً أو مستقبلياً يسعي إلى دفع المجتمع إلي الأمام.

ويكشف تأمل حركات النقد الاجتماعي عن وجود مستويين لهذا النقد، في المستوي الأول يعبر النقد الاجتماعي عن حركة احتجاج اجتماعي شامل يستهدف التأكيد علي ضرورة التغيير الأساسي والجوهري للأنماط الحضارية القائمة، وإذا كان هذا النقد يبدأ بتحليل سلبي لعيوب السياق الاجتماعي القائم ونقائصه، فإن مضمون النقد الاجتماعي تجسده حركة احتجاج تنظر إلي الواقع الاجتماعي كشيء يمكن تشكيله، أعني كشيء مرهون بإرادة الفاعل ويتطلب هذا التغيير الأساسي للأنماط الحضارية توفر ثلاث شروط : الشرط الأول يتمثل في ظهور تناقضات متنوعة بين العناصر المشكلة لهذا الواقع بحيث تفقده تكامله من ناحية ، وتجعله من ناحية ثانية عاجزاً عن إشباع الحاجات الأساسية للإنسان ، وأيضاً عن الوفاء بالمتطلبات الأساسية للمجتمع باعتباره تجمعاً إنسانياً . ويتمثل الشرط الثاني في امتلاك الحركة النقدية لتصور مثالي لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع ، بحيث يصبح هذا التصور هو الإطار المرجعي لتفنيد ما هو قائم ، وإبراز عرضيته وجزئيته ونقصه، وايضاً اكتشاف الآليات التي تحكم عملية الانتقال من الشكل الناقص والمعيب إلي الشكل المكتمل ، ويتصل الشرط الثالث بضرورة امتلاك الحركة النقدية لقوي اجتماعية تصبح هي الفاعل الثوري الذي ينتقل بالمجتمع مما هو كائن إلي ما ينبغي أن يكون . مؤكدة بذلك اكتمال حركة التحول الاجتماعي والحضاري وبداية تخلق واقع حضاري أو اجتماعي جديد يضيق نطاقه أو يتسع بحسب درجة شمول النقد وراديكاليته.

عل خلاف ذلك تتحدد مهمة المستوي الثاني من النقد الاجتماعي بدرجة اقل راديكالية وشمولاً . ذلك لأن النقد من هذا النمط يصبح نقداً ثقافياً وتنويرياً فقط ، إذ يستهدف الذين يؤكدون علي هذا النمط من النقد عملية التغيير الثقافي والتنويري لتشكيل توجيهات ثقافية

وقيمية جديدة تحكم التفاعل الكائن في الواقع الاجتماعي والحضاري . وهي هنا تستهدف خلق ثقافة جديدة تقود التفاعل والعمل داخل إطار المؤسسة القائمة، ويتبلور هذا المستوي من النقد الذاتي والثقافي للمجتمعات، أو حينما لا يكون الفاعل الثوري الذي يهدف إلى التغيير الراديكالي للمجتمع مهيأ بما يكفي لتنفيذ مهام النقد ومتطلباته . هذا النقد قد يصبح هو المستوي المسموح به حينما يثبت الواقع ويؤكد صلابته أمام الانتقادات الموجهة إليه ، ويحاول هذا الواقع استيعاب مضمون النقد بما يدعم بنائه وصلابته ويفقد النقد مبرره ومشروعيته ويبرز هذا المستوي النقدي في المراحل التاريخية التي يكون فيها الواقع الاجتماعي قوياً وقادراً علي استيعاب مضمون النقد، أو حينما يقتصر النقد الاجتماعي علي فضح وتفنيد ما هو قائم دون امتلاك القدرة علي الانطلاق إلى ما ينبغي أن يكون علي طريق امتلاك نموذج مثالي ومستقبلي يتحرك نحو تقدم المجتمع.

نظرية الصراع

يمكن النظر إلى نظرية الصراع باعتبارها تطورًا حدث كردٍّ فعل على البنائية الوظيفية ونتيجة للعديد من الانتقادات التي تمت مناقشتها سابقًا. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن نظرية الصراع لها جذور أخرى مختلفة، مثل نظريات ماركس وفيبر، وعمل سيمل حول الصراع الاجتماعي (ساندرسن 2007؛ جيه. تيرنر 2005). في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، قدمت نظرية الصراع بديلًا للوظيفية البنيوية، إلا أن مجموعة من النظريات الماركسية الجديدة حلَّت محلها (انظر الفصل 4). في الواقع، كان أحد الإسهامات الرئيسية لنظرية الصراع هو الطريقة التي وضعت بها الأسس للنظريات الأكثر وفاءً لعمل ماركس، وهي النظريات التي بدأت تجذب جمهورًا واسعًا في علم الاجتماع. المشكلة الأساسية في نظرية الصراع هي أنها لم تنجح قط

في فصل نفسها بشكل كافٍ عن جذورها البنائية الوظيفية. لقد كانت أشبه بنظرية وظيفية بنيوية معكوسة أكثر منها نظرية نقدية حقيقية للمجتمع.

عمل رالف دارندورف

مثل الوظيفيين، كان منظرو نظرية الصراع موجهين نحو دراسة البنى والمؤسسات الاجتماعية. بشكل عام، لم تكن هذه النظرية أكثر من سلسلة من الادعاءات التي غالبًا ما كانت على النقيض تمامًا من مواقف الوظيفيين. يتجلى هذا التناقض على أفضل نحو في عمل رالف دارندورف (1958، 1959 انظر أيضًا شتراسر ونولمان 2005)، حيث تمت مقارنة مبادئ الصراع والوظيفية. بالنسبة للوظيفيين، يعتبر المجتمع ساكنًا، أو في أحسن الأحوال، في حالة اتزان متحرك، ولكن بالنسبة إلى دارندورف ومنظري الصراع، فإن كل مجتمع في كل مرحلة يخضع لعمليات التغيير. بينما أكد الوظيفيون انتظام المجتمع، رأى منظرو نظرية الصراع الخلافات والصراعات بكل مرحلة في النسق الاجتماعي. جادل الوظيفيون (أو على الأقل المبكرون منهم) بأن كل عنصر في المجتمع يسهم في الاستقرار، بينما رأى مناصرو نظرية الصراع العديد من العناصر المجتمعية باعتبارها تسهم في التفكك والتغيير.

وبينما مال الوظيفيون إلى رؤية المجتمع متماسكًا من خلال المعايير والقيم والأخلاق المشتركة، رأى منظّرو نظرية الصراع أي نظام موجود في المجتمع باعتباره ينبع من إكراه أولئك الموجودين في القمة لبقية فئات المجتمع على فعل ذلك. وفي حين ركز الوظيفيون على التماسك

الناتج عن القيم المجتمعية المشتركة، أكد منظرو نظرية الصراع دور القوة في الحفاظ على النظام بالمجتمع.

كان دارندورف (1959، 1968) المناصر الرئيسي للتوجه القائل إن المجتمع له وجهان (الصراع والإجماع)، ومن ثم يجب تقسيم النظرية الاجتماعية إلى قسمين؛ نظرية الصراع ونظرية الاتفاق. وعلى منظري الاتفاق دراسة تكامل القيم في المجتمع، وعلى منظري الصراع دراسة تضارب المصالح والإكراه الذي يربط المجتمع معًا لمواجهة هذه الضغوط. أدرك دارندورف أن المجتمع لا يمكن أن يتواجد دون صراع وإجماع، وهما شرطان أساسيان لبعضهما. ولهذا لا يمكن أن يكون هناك صراع، ما لم يكن هناك إجماع يسبقه. على سبيل المثال، من غير المرجح أن تتصارع ربات البيوت الفرنسيات مع لاعبي الشطرنج التشيليين؛ حيث لا يوجد اتصال بين الفئتين، ولا يوجد تكامل مسبق يكون بمثابة أساس للصراع. لكن على العكس، يمكن للصراع أن يؤدي إلى إجماع وتكامل. ومثال على ذلك التحالف بين الولايات المتحدة واليابان الذي تطور بعد الحرب العالمية الثانية.

رغم العلاقة المتبادلة بين الإجماع والصراع، لم يكن دارندورف متفائلًا بشأن التوصل إلى نظرية اجتماعية واحدة تشمل كلتا العمليتين: "لا يبدو التوصل إلى نظرية موحدة ممكنًا، وقد حير هذا المفكرين منذ بدايات الفلسفة الغربية" (1959: 164). وكنوع من الهرب من التوصل لنظرية موحدة، شرع دارندورف في بناء نظرية الصراع في المجتمع. 14

بدأ دارندورف بالبنائية الوظيفية، وقد تأثر كثيرًا بها. وأشار إلى أنه بالنسبة للوظيفيين، يتحقق تماسك النسق الاجتماعي من خلال التعاون الطوعي، أو الإجماع العام،

أو كليهما. أما بالنسبة لمنظري الصراع (أو الإكراه)، فإن المجتمع يتماسك من خلال "القيود القسرية"، وهكذا، تمنح بعض الفئات في المجتمع

السلطة على بقية الفئات الأخرى. هذه الحقيقة الاجتماعية قادت دارندورف إلى أطروحته الأساسية التي تقول إن التوزيع التمايزي للسلطة "يصبح دائمًا العامل المحدد للصراعات الاجتماعية المنهجية" (1959: 165).

السلطة: ركز دارندورف على البنى الاجتماعية الأكبر. 15 كان أساس أطروحته هو فكرة أن المناصب المختلفة داخل المجتمع تحظى بمستويات مختلفة من السلطة. السلطة لا تكمن في الأفراد، وإنما في المناصب. لم يكن دارندورف مهتمًا ببناء هذه المناصب فحسب، بل بالصراعات فيما بينها أيضًا: "علينا البحث عن الأصل البنيوي لهذه الصراعات في ضوء تنظيم الأدوار الاجتماعية الممنوحة وتوقعات الهيمنة أو الخضوع" (1959 : 165). كانت المهمة الأولى لتحليل الصراع عند دارندورف هي تحديد أدوار السلطة المختلفة داخل المجتمع. بالإضافة إلى إثبات جدوى دراسة البنى واسعة النطاق مثل المناصب السلطوية، فإن دارندورف عارض أولئك الذين يركزون على المستوى الفردي. كان مثلًا ينتقد أولئك الذين يركزون على الخصائص النفسية أو السلوكية للأفراد الذين يشغلون هذه المناصب. بل تمادى قائلًا إن من يتبنَّون مثل هذا النهج ليسوا علماء اجتماع من الأساس.

تعد السلطة المرتبطة بالمناصب العنصر الرئيسي في تحليل دارندورف. تشير السلطة دائمًا إلى كل من الاستعلاء والخضوع. من المتوقع أن يقوم أولئك الذين يشغلون مناصب سلطوية بالهيمنة على مرءوسيهم. هذا يعني أنهم يسيطرون بسبب توقعات من يحيطون بهم، وليس بسبب خصائص نفسية تميزهم. ومثل السلطة، تبقى هذه التوقعات مرتبطة بالمناصب، لا بالناس. السلطة ليست ظاهرة اجتماعية معممة. أولئك الذين يخضعون للهيمنة، وكذلك مجالات الهيمنة المسموح بها، يتم تحديدها في المجتمع. أخيرًا: نظرًا لأن السلطة مشروعة، يمكن فرض العقوبات على من لا يمتثلون لها.

بالنسبة لدارندورف، فإن السلطة ليست ثابتة، ذلك أنها تكمن في المناصب، لا في الأشخاص. ولهذا، فإن صاحب السلطة في بيئةٍ ما لا يكون بالضرورة صاحب سلطة في بيئة أخرى. وبالمثل، قد يكون الشخص الخاضع في مجموعةٍ ما، مهيمنًا في مجموعة أخرى. هذا مبنيٌّ على حجة دارندورف بأن المجتمع يتكون من عدد من الوحدات التي سماها مجموعات منسقة بصورة حتمية. قد يُنظر إليها باعتبارها مجموعات من أشخاص يسيطر عليهم سلسلة من المناصب السلطوية. بما أن المجتمع يحتوي على العديد من هذه المجموعات، يمكن للفرد أن يشغل منصبًا سلطويًّا في مجموعة، ومنصبًا أدنى في أخرى.

السلطة داخل كل مجموعة ثنائية التفرع إذن، ومن ثم لا يمكن تشكيل سوى مجموعتي صراع فحسب داخل أي مجموعة. لدى أولئك الذين يشغلون مناصب سلطوية، وأولئك الذين يشغلون مناصب تابعة لمصالح

معينة "متناقضة في الجوهر والاتجاه". هنا نتعرف على مصطلح رئيسي آخر في نظرية دارندورف للصراع؛ وهو المصالح. يتم تحديد المجموعات المهيمنة والخاضعة من خلال المصالح المشتركة. ظل دارندورف ثابتًا على فكرته؛ وهي أنه حتى هذه المصالح، التي تبدو نفسية جدًّا، هي في الأساس ظواهر واسعة النطاق:

لأغراض التحليل الاجتماعي لمجموعات الصراع وصراعات المجموعات، من الضروري افتراض بعض التوجهات المتولدة، بنيويًّا عن أفعال شاغلي مناصب محددة. قياسًا على التوجهات الواعية ("الذاتية") للعمل، يبدو وصفها باعتبارها مصالح مبررًا... إن افتراض المصالح "الموضوعية" المرتبطة بالمناصب الاجتماعية ليست له آثار أو عواقب نفسية تنتمي إلى مستوى التحليل الاجتماعي الصحيح. (1959: 175)

داخل كل مجموعة، يسعى أولئك الذين يشغلون مناصب مهيمنة إلى الحفاظ على الوضع الراهن، بينما يسعى من هم في مناصب خاضعة إلى التغيير. يكون تضارب المصالح داخل أي مجموعة كامنًا على الأقل طوال الوقت، ما يعني أن شرعية السلطة تبقى غير مستقرة دائمًا. يجب ألا يكون تضارب المصالح هذا مدركًا كي يتحرك الرؤساء والمرءوسون. تكون مصالح الرؤساء والمرءوسين موضوعية، بمعنى أنها تنعكس في التوقعات (الأدوار) المرتبطة بالمناصب. لا يتعين على الأفراد استبطان هذه التوقعات أو حتى الوعي بها من أجل التصرف على أساسها. إذا شغلوا مناصب معينة، فإنهم سيتصرفون بالطريقة المتوقعة. يتم "تكييف" الأفراد مع أدوارهم عندما يسهمون في الصراع بين الرؤساء والمرءوسين. أطلق دارندورف على هذه التوقعات اللاواعية بالدور المصالح الكامنة. والمصالح الظاهرة هي مصالح كامنة أصبحت واعية. رأى دارندورف أن تحليل العلاقة بين المصالح الكامنة والظاهرة مهمة رئيسية لنظرية الصراع. ومع ذلك، يجب ألا يكون الفاعلون واعين بمصالحهم كي يعملوا بما يتفق معها.

المجموعات والصراع والتغيير: بعد ذلك، ميز دارندورف بين ثلاثة أنواع أساسية من المجموعات. الأولى هي شبه المجموعة، أي "تجمعات شاغلي المناصب التي لها مصالح دور مماثلة" (1959: 180). هذه أرض خصبة لتجنيد النوع الثاني من المجموعات؛ وهي مجموعة المصالح. وصف دارندورف المجموعتين كما يلي:

> الانماط الشائعة للسلوك تميز مجموعة المصالح التي يتم تجنيدها من أشباه مجموعات أكبر. مجموعات المصالح هي مجموعات بالمعنى الدقيق في علم الاجتماع، وهي تمثل الفاعلين الحقيقيين لصراع المجموعات، وتمتلك هذه المجموعات بناء، وشكلًا تنظيميًّا وبرنامجًا أو هدفًا، وهيئة من الأعضاء. (1959: 180)

من بين مجموعات المصالح العديدة تظهر مجموعات الصراع؛ تلك التي تنخرط بالفعل في صراع المجموعات.

وجد دارندورف أن مفهومي المصالح الكامنة والظاهرة لأشباه المجموعات ومجموعات المصالح ومجموعات الصراع كانا أساسيين في تفسير الصراع الاجتماعي. في الظروف المثالية لن تكون هناك حاجة

لمتغيرات أخرى. ومع ذلك، ونظرًا لأن الظروف لا تكون مثالية أبدًا، تتدخل العديد من العوامل المختلفة في العملية. تحدث دارندورف عن الظروف التقنية مثل العدد الكافي من الموظفين، والظروف السياسية مثل المناخ السياسي العام، والظروف الاجتماعية مثل وجود روابط اتصال. كما كانت الطريقة التي يتم بها تجنيد الأشخاص في شبه المجموعة بمثابة حالة اجتماعية أخرى مهمة بالنسبة لدارندورف. لقد رأى أنه إذا كان التجنيد عشوائيًا ويتم عن طريق المصادفة، فمن غير المرجح أن تظهر مجموعتا المصالح أو الصراع. على النقيض من ماركس، لم يشعر دارندورف بأن البروليتاريا الرثة16 ستشكل في النهاية مجموعة صراع، حيث إن الناس يتم تجنيدهم بها عن طريق المصادفة. ومع ذلك، عندما يتم تحديد التجنيد في أشباه المجموعات بشكل بنيوي، فإن هذه المجموعات توفر أرضية تجنيد خصبة لمجموعة المصالح، وفي بعض الحالات، لمجموعات الصراع.

الجانب الأخير من نظرية الصراع لدارندورف يتمثل في علاقة الصراع بالتغيير. أدرك دارندورف هنا أهمية عمل لويس كوسر (انظر القسم التالي)، الذي ركز على دور الصراع في الحفاظ على الوضع الراهن. ومع ذلك، شعر دارندورف بأن الوظيفة المحافظة للصراع ليست سوى جزء واحد من الواقع الاجتماعي. الصراع يؤدي أيضًا إلى التغيير والتنمية.

بإيجاز، جادل دارندورف أنه بمجرد ظهور مجموعات الصراع، فإنها تبدأ تتصرف بصورة تؤدي إلى إحداث تغييرات في البناء الاجتماعي. عندما يكون الصراع شديدًا، تكون هذه التغييرات جذرية. عندما يكون

مصحوبًا بالعنف، سيكون التغيير البنيوي مفاجئًا. وبغض النظر عن طبيعة الصراع، يجب أن يعي علماء الاجتماع العلاقة بين الصراع والتغيير، وكذلك العلاقة بين الصراع والوضع الراهن.

الانتقادات الرئيسية وجهود التعامل معها

تم انتقاد نظرية الصراع على أسس مختلفة، فقد هُوجمت على سبيل المثال، لتجاهلها النظام والاستقرار، مثلما انتُقدت البنائية الوظيفية بسبب تجاهلها الصراع والتغيير. وكذا انتُقدت نظرية الصراع لكونها راديكالية من الناحية الأيديولوجية، مثلما انتُقدت البنائية الوظيفية بسبب أيديولوجيتها المحافظة. المقارنة مع البنائية الوظيفية، تبدو نظرية الصراع غير مكتملة النمو. إنها ليست بالدرجة نفسها من التقدم والتعقيد التي تمتلكها البنائية الوظيفية، ربما لأنها نظرية مشتقة بصورة أكبر.

تعرضت نظرية الصراع لدارندورف إلى عدد من التحليلات النقدية (مثل هايزلريج 1972؛ جيه. تيرنر 1973؛ فاينجارت 1969), بما في ذلك بعض التأملات النقدية من دارندورف (1968) نفسه. أولًا: لم يعكس نموذج دارندورف الأفكار الماركسية بالقدر الذي ادعاه. ثانيًا: كما لاحظنا، تشترك نظرية الصراع مع البنائية الوظيفية أكثر مما تشترك مع الماركسية. إن تركيز دارندورف على أشياء مثل الأنظمة (المجموعات المنسقة بصورة حتمية) والمناصب والأدوار ربطه مباشرة بالبنائية الوظيفية. ونتيجة لذلك، عانت نظريته العديد من أوجه القصور التي عانتها البنائية الوظيفية. على سبيل المثال، بدا أن الصراع ينشأ بشكل

غامض من الأنظمة الشرعية (تمامًا كما يحدث في البنائية الوظيفية). علاوة على ذلك، بدا أن نظرية الصراع تعاني العديد من المشكلات المفاهيمية والمنطقية نفسها (كالمفاهيم الغامضة والتكرار)، مثلها مثل البنائية الوظيفية (جيه. تيرنر 1975 ,1982). وأخيرًا: ومثل البنائية الوظيفية، فإن نظرية الصراع تكاد تكون كلية النطاق تمامًا، ونتيجة لذلك فإنها ليس لديها الكثير لتقدمه من أجل فهمنا للفكر والعمل الفردي.

لم تكن الوظيفية أو نظرية الصراع لدارندورف كافيتين؛ حيث إن كلًّا منهما لم تشرح سوى جزء واحد من الحياة الاجتماعية. على علم الاجتماع أن يكون قادرًا على تفسير النظام، وكذلك الصراع، والبناء، وكذلك التغيير. وقد حفز هذا العديدين لبذل جهود متنوعة للتوفيق بين الصراع والنظرية الوظيفية. ورغم أن أيًّا منها لم يكن مرضيًا تمامًا، فإن هذه الجهود توحي على الأقل ببعض الاتفاق بين علماء الاجتماع على أن المطلوب هو نظرية تشرح الإجماع والانشقاق معًا.

أدت انتقادات نظريتي الصراع والبنائية الوظيفية، بالإضافة إلى جانب القيود المتأصلة في كل منهما، إلى بذل العديد من الجهود للتعامل مع هذه الانتقادات عبر التوفيق بين النظريتين أو دمجهما (كيه. بيلي 1997؛ شايبن 1994؛ هايمز 1966؛ فان دندبيرج 1963). كان الافتراض هو أن مزيجًا من النظريتين سيكون أقوى من أي منهما وحدها. كان أشهر هذه الأعمال هو كتاب لويس كوسر 1956) *The Functions of Social Conflict*).

أنطونيو جرامشي

لعب الماركسي الإيطالي أنطونيو جرامشي دورًا رئيسيًّا في الانتقال من الحتمية الاقتصادية إلى مواقف ماركسية أكثر حداثة (بايلهارتس 2005b؛ ديفيدسون2007؛ سالاميني1981). كان جرامشي ينتقد الماركسيين الذين يوصفون بأنهم "حتميون وجبريون وميكانيكيون" (1971: 336). بل كتب مقالًا في الواقع بعنوان *Capital* The Revolution Against "الثورة ضد رأس المال" (جرامشي 1917/1977) احتفى فيه "بعودة الإرادة السياسية ضد الحتمية الاقتصادية لأولئك الذين قصروا الماركسية على القوانين التاريخية المضمنة في أفضل أعمال ماركس وأشهرها رأس المال. (جاي 1984: 155). ورغم أنه أدرك أن هناك ضوابط تاريخية، فإنه رفض فكرة التطورات التاريخية التلقائية أو الحتمية. ومن ثم كان على الجماهير أن تعمل كي تتمكن من إحداث ثورة اجتماعية. وكي تعمل كان على الجماهير أن تدرك وضعها وطبيعة النظام الذي تعيش فيه. ورغم أن جرامشي أدرك أهمية العوامل البنيوية، وخاصة الاقتصاد، فإنه لم يعتقد أن هذه العوامل البنيوية

يمكنها قيادة الجماهير إلى الثورة. كانت الجماهير بحاجة إلى تطوير أيديولوجية ثورية، لكنهم لا يستطيعون القيام بذلك وحدهم. عمل جرامشي على أساس تصور شبه نخبوي، يبني المثقفون فيه الأفكار، التي تنتشر بين الجماهير ثم يحين دور الجماهير لوضعها موضع التنفيذ. لم تستطع الجماهير توليد مثل هذه الأفكار، ويمكنهم تطبيقها، بعد ظهورها، دون نقاش. لا يمكن للجماهير أن تعي ذاتها بذاتها، بل كانت بحاجة إلى مساعدة النخب الاجتماعية. ومع ذلك، فإنه بمجرد أن تتأثر الجماهير بهذه الأفكار، ستتخذ الإجراءات التي تقود إلى ثورة اجتماعية. ومثل لوكاش، ركز جرامشي على الأفكار الجماعية بدلًا من البنى الاجتماعية مثل الاقتصاد، وعمل كلاهما في نطاق النظرية الماركسية التقليدية.

تمثل مفهوم جرامشي الأساسي - والذي عكس نزعته الهيجلية - في الهيمنة (للاطلاع على استخدام معاصر لمفهوم الهيمنة، انظر مناقشة عمل لاكلو وموف لاحقًا في هذا الفصل؛ أبراهامسون 1997). وبحسب جرامشي، فإن "المكون الأساسي لفلسفة الممارسة الحديثة [ربط الفكر والفعل] هو مفهوم "الهيمنة" التاريخي الفلسفي" (1932/1975: 235). يعرّف جرامشي الهيمنة على أنها القيادة الثقافية التي تمارسها الطبقة الحاكمة. ويقارن الهيمنة بالإكراه الذي "تمارسه السلطة التشريعية أو التنفيذية، أو يتم التعبير عنه من خلال تدخل الشرطة" (235). في حين كان الماركسيون الاقتصاديون يميلون إلى تأكيد الجوانب الاقتصادية والقسرية لهيمنة الدولة، أكد جرامشي "الهيمنة" والقيادة الثقافية" (235). في تحليله للرأسمالية، أراد جرامشي أن يعرف كيف حقق بعض المثقفين، الذين يعملون لصالح الرأسماليين، القيادة الثقافية وموافقة الجماهير.

لا يساعدنا مفهوم الهيمنة على فهم الهيمنة داخل الرأسمالية فحسب، بل يساعد كذلك على فهم توجه أفكار جرامشي عن الثورة؛ وهي أنه خلال الثورة، لا تكفي الهيمنة على الاقتصاد وأجهزة الدولة، من الضروري كذلك اكتساب القيادة الثقافية على بقية المجتمع. وهنا يرى جرامشي دورًا رئيسيًّا للمثقفين العضويين والحزب الشيوعي.

الفصل الخامس:
مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية)

تمهيد

أسس معهد البحث الاجتماعي في جامعة فرانكفورت وأصبح حقيقة واقعة عام 1923. وكان في مقدمة أهدافه القيام بدراسات ميدانية نقدية تربط النظرية بالممارسة العملية بطريقة ديالكتيكية والاسترشاد بالفلسفة الماركسية حيث اصدر المعهد مجلة البحث الاجتماعي 1931 " Zeitschrift fuer Sozialforschung" التي عبرت عن الرؤية النقدية الجديدة التي تبناها أعضاء المعهد وكذلك إجراء بحوث اجتماعية (ميدانية) حول الطبقة العاملة وفئات الموظفين في ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى وبصورة خاصة الدول الصناعية منها وجمع الإحصائيات والمعلومات والمصادر اللازمة للبحوث، كما قدم هوركهايمر وأدورنو مشروعا هاما حول "العائلة والسلطة" عكس وجهة النظر النقدية للإنسان الحديث, التي ربطت بين الاقتصاد وعلم التاريخ وعلم الاجتماع والتحليل النفسي معا .

في منتصف الثلاثينات اضطر أغلب أعضاء مدرسة فرانكفورت للهرب إلى فرنسا وبريطانيا ومنهما إلى أمريكا بعد صعود هتلر إلى سدة الحكم. وهناك استطاعوا نشر أهم أفكارهم ومؤلفاتهم في النظرية النقدية.

وبالرغم من أن أغلب أعضاء مدرسة فرانكفورت ينحدرون من أصول بورجوازية، فقد أعلنوا تعاطفهم مع الحركات الاشتراكية والحركات الثورية في العالم الثالث، ولكنهم لم يلتزموا مشروعا سياسيا ولم ينزلوا عن أبراجهم العاجية ولم يكترثوا بما حدث في الشارع من ثورة الطلاب التي حدثت في فرنسا وألمانيا صيف عام 1968، ولكنها ولّدت أفكارا وشعارات سياسية لانتفاضات الطلاب والشباب.

والحقيقة كان رواد مدرسة فرانكفورت أول من طور النظرية النقدية الجدلية في النقد والنقد الذاتي وجدلية العلاقة بين النظرية والممارسة وفضح تناقضات المجتمع الصناعي وبخاصة ثقافتة البرجوازية.

النظرية النقدية هي نتاج مجموعة من الماركسيين الجدد من الألمان ممن لم يكونوا راضين عن حالة النظرية الماركسية (جيه. برنشتاين 1995؛ كلنر 1993، 2005c؛ للاطلاع على نظرة أوسع للنظرية النقدية انظر آجر 1998)، وخاصة ميلها نحو الحتمية الاقتصادية. تأسست المنظمة المرتبطة بالنظرية النقدية، وهي معهد البحوث الاجتماعية، رسميًّا في فرانكفورت بألمانيا، في 23 فبراير 1923 (ويتلان 2009؛ فيجرشاوس 1994). انتشرت النظرية النقدية خارج حدود مدرسة فرانكفورت (كالهون وكارجانيس 2001؛ كلنر 2005c؛ لانجمان 2007). كانت النظرية النقدية - ولا تزال - توجهًا أوروبيًّا إلى حد كبير، رغم أن تأثيرها في علم الاجتماع الأمريكي تزايد مع الوقت (ماركوس 1999؛ فان دن بيرج).

الانتقادات الرئيسية للحياة الاجتماعية والفكرية

تتكون النظرية النقدية في الأساس من انتقادات لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية، لكن هدفها النهائي هو الكشف بدقة أكبر عن طبيعة المجتمع (بلايش 1977).

انتقادات النظرية الماركسية: تأخذ النظرية النقدية نقطة انطلاقها من نقد النظريات الماركسية. يعتبر المنظرون النقديون هم الأكثر انزعاجًا من الحتميين الاقتصاديين، أي الماركسيين الميكانيكيين.(أنطونيو 1981؛ شرويز 1973؛ سيوارت 1978). ينتقد البعض (مثل هابرماس 1971) الحتمية المضمنة في بعض أعمال ماركس الأصلية، لكن الأغلبية يركزون انتقاداتهم على الماركسيين الجدد؛ لأنهم فسروا كتابات ماركس من منظور ميكانيكي أكثر من اللازم. لا يدعي المنظرون النقديون أن الحتميين الاقتصاديين مخطئون في التركيز على المجال الاقتصادي، ولكن كان عليهم توجيه الاهتمام إلى جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية. وكما سنرى، ستسعى المدرسة النقدية إلى تصحيح هذا الاختلال من خلال تركيز اهتمامها على المجال الثقافي

(فيوري ومانسفيلد 2000؛ شرويز 1973: 33). بالإضافه إلى مهاجمه النظريات الماركسية الأخرى، انتقدت المدرسة النقدية المجتمعات التي بنيت ظاهريًّا على النظرية الماركسية، مثل الاتحاد السوفيتي السابق (ماركوز 1958).

انتقادات الوضعية: كما يركز المنظرون النقديون على الأسس الفلسفية للاستقصاء العلمي، وخاصة الوضعية (بوتومور 1984؛ فولر 2007a؛ هافبني 2001، 2005؛ مورو 1994). يرتبط نقد الوضعية بنقد الحتمية الاقتصادية، جزئيًّا على الأقل، حيث إن بعض الحتميين قبلوا جزءًا من نظرية المعرفة الوضعية أو كلها. يتم تصوير الوضعية باعتبارها تروج لفكرة أن طريقة علمية

واحدة يمكن أن تكون قابلة للتطبيق في جميع مجالات الدراسة. إنها تتخذ العلوم الطبيعية معيارًا لليقين والدقة في جميع التخصصات. يعتقد الوضعيون أن العلم محايد بطبيعته، ويشعرون بأن بإمكانهم إبقاء القيم الإنسانية خارج عملهم. هذا الاعتقاد بدوره يقود إلى الرأي القائل إن العلم ليس في وضع يسمح له بالدفاع عن أي شكل من أشكال الفعل الاجتماعي. (انظر الفصل الأول لمزيد من النقاش حول الوضعية).

تعارض المدرسة النقدية الوضعية على أسس مختلفة (سيوارت 1978). فمن ناحية، تميل الوضعية إلى تشيُّؤ العالم الاجتماعي واعتباره عملية طبيعية. يفضل المنظرون النقديون التركيز على النشاط البشري، والطرق التي يؤثر بها هذا النشاط على البنى الاجتماعية الأكبر. باختصار، تغض الوضعية الطرف عن الفاعلين (هابرماس 1971)، مختزلة إياهم في كيانات سلبية تحددها "القوى الطبيعية". لكن بسبب إيمانهم بتميز الفاعل، لن يقبل المنظرون النقديون فكرة أنه يمكن تطبيق القوانين العامة للعلوم دون نقاش على الفعل البشري. هوجمت الوضعية لاكتفائها بالحكم على مدى كفاية الوسائل في تحقيق الغايات، دون حكم مماثل على الغايات نفسها. يقود هذا النقد إلى الرأي القائل إن الوضعية محافظة بطبيعتها، وغير قادرة على تحدي النظام القائم. وكما يقول مارتن جاي عن الوضعية: "كانت النتيجة تمجيد " الحقائق "وتشييء النظام القائم" (1973: 62). تقود الوضعية الفاعل وعالم الاجتماع

إلى السلبية. لن يقبل معظم الماركسيين، على اختلاف انتماءاتهم، فكرة عدم الربط بين النظرية والتطبيق، لكن رغم هذه الانتقادات الموجهة للوضعية، فإن بعض الماركسيين (مثل البنيويين، والماركسيين التحليليين) يتبنون

الوضعية، وكان ماركس نفسه يُتهم في كثير من الأحيان بتبنِّيه المفرط للوضعية (هابرماس 1971).

انتقادات علم الاجتماع: يتعرض علم الاجتماع للهجوم بسبب نزعته "العلمية"، أي جعل المنهج العلمي غاية في حد ذاته. بالإضافة إلى ذلك، يُتهم علم الاجتماع بقبول الوضع القائم. تؤكد المدرسة النقدية أن علم الاجتماع لا ينتقد المجتمع بشكل جدي أو يسعى إلى تجاوز البناء الاجتماعي المعاصر. تؤكد المدرسة النقدية أن علم الاجتماع قد تخلى عن التزامه بمساعدة المضطهدين من قِبل المجتمع المعاصر.

ينتقد أعضاء من هذه المدرسة تركيز علماء الاجتماع على المجتمع ككل، وليس على الأفراد في المجتمع. ويُتهم علماء الاجتماع بتجاهل التفاعل بين الفرد والمجتمع. ورغم أن معظم مناظير علم الاجتماع ليست مذنبة بتهمة تجاهل هذا التفاعل، فإن هذا الرأي يمثل أحد الأسس في هجوم المدرسة النقدية على علماء الاجتماع. ولأنهم يتجاهلون الفرد، يُنظر إلى علماء الاجتماع باعتبارهم عاجزين عن تقديم أي شيء ذي معنى بشأن التغييرات السياسية التي يمكن أن تؤدي إلى بناء "مجتمع عادل وإنساني" (معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية 1973 :46). وكما قال زولتان تار، يصبح علم الاجتماع "جزءًا لا ينفصل من المجتمع القائم، بدلًا من كونه وسيلة للنقد ومستثيرًا للتجديد" (1977: x).

انتقاد المجتمع الحديث: تستهدف معظم أعمال المدرسة النقدية انتقاد المجتمع الحديث ومجموعة متنوعة من مكوناته. في حين أن معظم أفكار النظرية الماركسية المبكرة استهدفت الاقتصاد بشكل خاص، حولت المدرسة

النقدية توجهها إلى المستوى الثقافي في ضوء ما تعتبره حقائق المجتمع الرأسمالي الحديث. أي أن مركز الهيمنة في العالم الحديث تحول من الاقتصاد إلى الثقافة. ومع ذلك، تحتفظ المدرسة النقدية باهتمامها بالهيمنة،1 رغم أنه في العالم الحديث، من المرجح أن يتم التعرض للهيمنة بواسطة العناصر الثقافية أكثر من العناصر الاقتصادية. ومن ثم تسعى المدرسة النقدية إلى التركيز على القمع الثقافي للفرد في المجتمع الحديث.

لم تتشكل أفكار المنظرين النقديين من خلال نظرية ماركس فحسب، بل من خلال نظرية فيبر كذلك، يتجلى هذا في تركيزهم على العقلانية كتطور مهيمن في العالم الحديث. في الواقع، غالبًا ما يُطلق على مؤيدي هذا النهج اسم الماركسيين الفيبريين (دامز 1997؛ لووي 1996). وكما أوضح ترنت شرويز (1970)، فإن المدرسة النقدية ترى أن القمع الناتج عن العقلانية في المجتمع الحديث قد حل محل الاستغلال الاقتصادي باعتباره المشكلة الاجتماعية السائدة. من الواضح أن المدرسة النقدية تبنت تمييز فيبر بين العقلانية الشكلية والعقلانية الموضوعية،

أو ما يعتقد المنظرون النقديون أنه المنطق. وبالنسبة للمنظرين النقديين، فإن العقلانية الشكلية معنية بمسألة أكثر الوسائل فاعلية لتحقيق الغرض (تار 1977). يُنظر إلى هذا باعتباره "تفكيرًا تكنوقراطيًّا"، حيث يكون الهدف خدمة قوى مهيمنة، وليس تحرير الناس من الهيمنة. الهدف ببساطة هو العثور على أكثر الوسائل كفاءة لأي غاية يعتبرها الموجودون على رأس السلطة مهمة. يتناقض التفكير التكنوقراطي مع المنطق، الذي يُعتبر الأمل للمجتمع في أذهان المنظرين النقديين. يعني المنطق تقييم الوسائل من حيث القيم الإنسانية المطلقة كالعدالة والسلام والسعادة. عرّف المنظرون النقديون

النازية بشكل عام، ومعسكرات الاعتقال الخاصة بها بشكل خاص، كأمثلة على الصراع المميت بين العقلانية الشكلية والمنطق. وكما قال جورج فريدمان "كان أوشفيتز مكانًا عقلانيًّا، لكنه لم يكن منطقيًّا" (1981: 15)؛ انظر أيضً

ورغم عقلانية الحياة العصرية الظاهرة، فإن المدرسة النقدية ترى العالم الحديث باعتباره مليئًا باللا عقلانية (1995). يمكن تسمية هذه الفكرة بـ "لا عقلانية العقلانية"، أو بشكل أكثر تحديدًا لا عقلانية العقلانية الشكلية. رأى هيربرت ماركوز، أنه برغم أن المجتمع يبدو مجسدًا للعقلانية، فإنه "غير عقلاني ككل" (ix:1964؛ انظر أيضًا فارجانيس 1975). من غير المنطقي أن يكون العالم عقلانيًا ويدمر الأفراد واحتياجاتهم وقدراتهم، وأن يتم الحفاظ على السلام من خلال التهديد المستمر بالحرب، وأنه ورغم وجود الوسائل الكافية، يظل الناس فقراء ومضطهدين ومستغلين وغير قادرين على تحقيق إمكاناتهم.

تركز المدرسة النقدية في المقام الأول على شكل واحد من العقلانية الشكلية؛ ألا وهي التكنولوجيا الحديثة (فينبرج 1996). على سبيل المثال، انتقد ماركوز (1964) التكنولوجيا الحديثة بشدة، على الأقل كما هي مستخدمة في الرأسمالية. ورأى أن التكنولوجيا في المجتمع الرأسمالي الحديث تقود إلى الشمولية. واعتبرها تؤدي إلى الهيمنة الخارجية على الأفراد عبر طرق جديدة وأكثر فاعلية، بل وأكثر بعثًا على المتعة. المثال الأساسي هو استخدام التليفزيون لإنشاء روابط بين السكان وتهدئتهم (كانت الأمثلة الأخرى هي الرياضات الجماعية والاستغلال المنتشر للجنس الآخر). رفض ماركوز فكرة

أن التكنولوجيا محايدة في العالم الحديث واعتبرها بدلًا من ذلك وسيلة للهيمنة على الناس. إنها فعالة لأنها صُنعت لكي تبدو محايدة بينما هي في الواقع استعبادية. إنها تعمل على قمع الفردية. "غزت التكنولوجيا" الحديثة الحرية الداخلية للفاعل "وقلصتها". والنتيجة هي ما أطلق عليه ماركوز "المجتمع أحادي الأبعاد"، الذي يفقد فيه الأفراد القدرة على التفكير النقدي والسلبي حول المجتمع. لم يعتبر ماركوز أن التكنولوجيا في حد ذاتها هي العدو، بل التكنولوجيا كما تُستخدم في المجتمع الرأسمالي الحديث: "التكنولوجيا، مهما كانت نقية، تدعم وتسهل استمرارية الهيمنة. لا يمكن قطع هذا الرابط المميت إلا بثورة تجعل التكنولوجيا والتقنية خاضعة لاحتياجات

وأهداف البشر الأحرار "(1969: 56). احتفظ ماركوز بوجهة نظر ماركس الأصلية بأن التكنولوجيا ليست مشكلة في طبيعتها، وأنه يمكن استخدامها لتطوير مجتمع "أفضل".

انتقاد الثقافة: يوجه المنظرون النقديون انتقادات كبيرة لما يسمونه " صناعة الثقافة" (كلنر ولويس 2007)، أي تلك البنى البيروقراطية العقلانية التي تتحكم في الثقافة الحديثة (مثل شبكات التليفزيون). يعكس الاهتمام بصناعة الثقافة اهتمامهم بالمفهوم الماركسي الخاص بالبناء الفوقي بدلًا من الاهتمام بالأساس الاقتصادي (بيميش 2007e). يتم تعريف صناعة الثقافة، التي تنتج ما يطلق عليه تقليديًّا "الثقافة الجماهيرية"، باعتبارها "ثقافة مدارة... وغير عفوية، ومُجسدة، وزائفة" وليست شيئًا حقيقيًّا" (جاي 216: 1973).2 هناك شيئان يقلقان أكثر المفكرين الناقدين بشأن هذه الصناعة. إنهم أولًا قلقون بشأن زيفها، ويفكرون فيها باعتبارها مجموعة من الأفكار المعبأة مسبقًا التي يتم إنتاجها ونشرها على نطاق واسع من أجل الجماهير على يد

وسائل الإعلام. ثانيًا: ينزعج المنظرون النقديون من تأثيرها القمعي والمهدئ والمخدِّر على الناس (دي. كوك 1996؛ جي. فريدمان 1981؛ تار 1977: 83؛ زيبس 1994).

قدم دوجلاس كلنر (1990) بصورة واعية نظرية نقدية حول التليفزيون. بينما استمد عمله من مواطن القلق الثقافية في مدرسة فرانكفورت، اعتمد كلنر على التقاليد الماركسية الأخرى لتقديم تصور أكثر تكاملًا لصناعة التليفزيون. ينتقد المدرسة النقدية لأنها "تتجاهل التحليل التفصيلي للاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، وتصور الثقافة الجماهيرية على أنها أداة للأيديولوجيا الرأسمالية فحسب" (كلنر 1990: 14). وهكذا، بالإضافة إلى النظر إلى التليفزيون كجزء من صناعة الثقافة، يربطها كلنر برأسمالية الشركات والنظام السياسي. علاوة على ذلك، لم ير كلنر التليفزيون كشيء متصلب أو خاضع لهيمنة قوى مؤسسية متماسكة، بل مجرد "وسيلة جماهيرية شديدة التصارع تتقاطع فيها القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية المتنافسة"

(14). وهكذا، برغم عمله في إطار النظرية النقدية، رفض كلنر وجهة النظر القائلة إن الرأسمالية عالم يخضع للإدارة بالكامل. ومع ذلك، رأى كلنر التليفزيون باعتباره تهديدًا للديمقراطية والفردية والحرية، وقدم اقتراحات (مثل المزيد من المساءلة الديمقراطية، وزيادة اطلاع المواطنين وتعزيز مشاركاتهم، ومزيد من التنوع على التليفزيون) للتعامل مع التهديد. ومن ثم يتجاوز كلنر النقد المحض، ليقدم مقترحات للتعامل مع المخاطر التي يشكلها التليفزيون.

كما تهتم المدرسة النقدية - وتنتقد - ما تسميه "صناعة المعرفة"، والتي تشير إلى الكيانات المعنية بإنتاج المعرفة (مثل الجامعات ومعاهد البحث) التي أصبحت بنى مستقلة في مجتمعنا. لقد سمح لها استقلالها بأن تتعدى حدود مهامها الأصلية (شرويز 1970). لقد أصبحت بنى قمعية مهتمة بتوسيع نفوذها في جميع أنحاء المجتمع.

في حين أن تحليل ماركس النقدي للرأسمالية جعله أكثر أملًا في المستقبل، لكن العديد من المنظرين النقديين وصلوا إلى مرحلة يأس شديد. فقد رأوا أن مشكلات العالم الحديث لم تكن الرأسمالية مصدرها الوحيد، وأنها متوطنة في عالم يتسم بالعقلنة. كانوا يرون المستقبل من المنظور الفيبري، باعتباره "قفصًا حديديًّا" مشكلًا من بنى عقلانية على نحو متزايد، وأن الأمل في الهروب منه يقل مع الوقت.

إن معظم النظريات النقدية (مثل كتابات ماركس الأصلية) تكون في شكل تحليلات نقدية. ورغم أن المنظرين النقديين لديهم كذلك عدد من الاهتمامات الإيجابية، فإن أحد الانتقادات الأساسية للنظرية النقدية أنها تقدم انتقادات أكثر مما تقدم مساهمات إيجابية. هذه السلبية تثير الكثير من العلماء، ولهذا السبب يشعرون بأن النظرية النقدية ليس لديها الكثير لتقدمه للنظرية الاجتماعية.

أفكار يورجن هابرماس

رغم أن النظرية النقدية قد تكون في تراجع، فإن يورجن هابرماس4 ونظرياته لا تزال حية جدًّا (جيه. برنشتاين 1995؛ آر. براون و جودمان 2001؛ أو ثويت 1994). لقد تطرقنا إلى بعض أفكاره سابقًا في هذا الفصل، لكننا نقدم هنا نظرة أكثر تفصيلًا عن نظريته (سنناقش جوانب أخرى من أفكاره في الفصلين 9 و 10).

الاختلافات مع ماركسأكد هابرماس أن هدفه كان "وضع برنامج نظري يمكن فهمه باعتباره إعادة بناء للمادية التاريخية" (1979: 95). انطلق هابرماس من

نقطة انطلاق ماركس (الإمكانات البشرية، والموضوع النوعي، و"النشاط البشري الحسي"). ومع ذلك، يجادل هابرماس (1971) بأن ماركس فشل في التمييز بين عنصرين متميزين للكائن النوعي، وهما العمل أو الجهد (الفعل العقلاني الهادف) والتفاعل (الرمزي) أو الاجتماعي (الفعل التواصلي). رأى هابرماس أن ماركس يتجاهل العنصر الأخير ويختزله في العمل. وكما قال هابرماس، المشكلة في عمل ماركس هي "اختزال فعل التوليد الذاتي للنوع البشري في العمل فحسب" (1971: 42). وعلى هذا يقول هابرماس: "إنني آخذ التمييز الأساسي بين العمل والتفاعل كنقطة انطلاق لي" (1970: 91). في كل كتاباته، اعتمد هابرماس على هذا التمييز، رغم ميله لاستخدام مصطلحي الفعل العقلاني الهادف (العمل)، والفعل التواصلي (التفاعل).

تحت عنوان "الفعل العقلاني الهادف"، ميز هابرماس بين الفعل الأداتي والفعل الإستراتيجي. كلاهما ينطوي على السعي نحو المصلحة الذاتية. ينطوي الفعل الأداتي على فاعل واحد يحاول بشكل عقلاني التوصل لأفضل الوسائل لتحقيق هدف معين. أما الفعل الإستراتيجي فيشمل شخصين أو أكثر ينسقون فيما بينهم فعلًا عقلانيًّا هادفًا سعيًا لتحقيق هدف. الهدف من كلا الفعل الأداتي والإستراتيجي هو التحكم الأداتي.

اهتم هابرماس بالفعل التواصلي، حيث:

يتم تنسيق أفعال الفاعلين؛ ليس بحسب تقديراتهم الأنانية للنجاح ولكن من خلال أفعالهم التي تستهدف الوصول إلى التفاهم. في الفعل التواصلي، لا يكون المشاركون موجهين نحو تحقيق نجاحاتهم الخاصة في المقام الأول،

ويتابعون أهدافهم الفردية بشرط القدرة على تنسيق خطط عملهم على أساس تعريفات الوضع المشترك. (1984: 286)

في حين أن غاية الفعل الهادف العقلاني هو تحقيق هدف، فإن مقصد الفعل التواصلي هو تحقيق تفاهم تواصلي (ستريكر 1998). من الواضح أن هناك أهمية كبيرة لعنصر الحديث في الفعل التواصلي. ومع ذلك، فإن مثل هذا الفعل أوسع نطاقًا من ذلك، حيث يشمل "الحديث أو التعبيرات غير اللفظية المكافئة له" (هابرماس 1984: 278).

إن نقطة الانطلاق الرئيسية التي أخذها هابرماس من ماركس هي القول بأن الفعل التواصلي، وليس الفعل الهادف العقلاني (أي العمل)، هو الظاهرة البشرية الأكثر تميزًا وانتشارًا. وبهذا كان (عدم العمل) هو أساس الحياة الاجتماعية الثقافية وجميع العلوم الإنسانية أيضًا. وفي حين كان توجه ماركس هو التركيز على العمل، كان توجه هابرماس هو التركيز على التواصل.

لم يركز ماركس على العمل فحسب، بل اتخذ من العمل الحر والإبداعي (الموضوع النوعي) منطلقًا أساسيًّا للتحليل الانتقادي للعمل في مختلف العصور التاريخية، وخاصة الرأسمالية. وقد تبنَّى هابرماس منطلقًا أساسيًّا كذلك، ولكن في مجال التواصل، وليس الفعل العقلاني الهادف. المنطلق الأساسي لهابرماس كان التواصل غير المشوه، أو التواصل دون إكراه.

وباستخدام المنطلق الأساسي هذا، استطاع هابرماس إجراء تحليل نقدي للتواصل المشوه. اهتم هابرماس بالبنى الاجتماعية التي تشوه التواصل، تمامًا كما اهتم ماركس بالبنى الاجتماعية لتشوه العمل. ورغم أن لكل واحد

منهما منطلقين مختلفين، لكن يظل هناك منطلق أساسي لكليهما، ما سمح لهما بتجنب النسبية وإصدار أحكام حول الظواهر التاريخية المختلفة. وقد انتقد هابرماس هؤلاء المنظرين، وخاصة فيبر والمنظرين النقديين السابقين؛ لافتقارهم لمثل هذا المنطلق وانزلاقهم إلى النسبية.

لا يزال هناك تماثل آخر بين ماركس وهابرماس ومنطلقيهما. بالنسبة لكل منهما، لم يمثل المنطلق الأساسي نقطة انطلاقهما التحليلية فحسب، بل مثَّل كذلك أهدافهما السياسية. أي أنه في حين كان هدف ماركس مجتمعًا شيوعيًّا يكون العمل فيه غير مشوه (الموضوع النوعي)، كان هدف هابرماس السياسي مجتمعًا يكون التواصل فيه غير مشوه (الفعل التواصلي). فيما يتعلق بالأهداف المباشرة، سعى ماركس إلى إزالة الحواجز (الرأسمالية) التي تعترض العمل غير المشوه، بينما سعى هابرماس إلى إزالة الحواجز التي تَحول دون التواصل الحر.

مثل المنظِّرين النقديين الآخرين، اعتمد هابرماس (1973 , انظر أيضًا هابرماس 1994: 101) على فرويد ووجد العديد من أوجه الشبه بين ما يفعله المحللون النفسيون على المستوى الفردي، وما يعتقد أنه يجب فعله على المستوى المجتمعي. رأى هابرماس أن التحليل النفسي بمثابة نظرية للتواصل المشوّه، وأنه منشغل بالسماح للأفراد بالتواصل بطريقة غير مشوهة. يسعى المحلل النفسي إلى العثور على مصادر التشوهات في اتصالات الفرد، أي تلك العقبات التي تَحول بينه وبين التواصل. من خلال التأمل، يحاول المحلل النفسي مساعدة الفرد في التغلب على هذه العقبات. وبالمثل، من خلال النقد العلاجي، وهو "شكل من أشكال الجدل الذي يعمل

على توضيح خداع الذات المنهجي" (هابرماس 1984: 21)، يحاول المنظّر النقدي مساعدة الناس بوجه عام في التغلب على الحواجز الاجتماعية أمام التواصل غير المشوه. هناك إذن تشابه (والذي يراه الكثير من النقديين تشابهًا غير منطقي) بين التحليل النفسي والنظرية النقدية. يقوم المحلل النفسي بمساعدة المريض بالطريقة التي يساعد بها الناقد الاجتماعي الأشخاص غير القادرين على التواصل بصورة لائقة حتى يكونوا "غير عاجزين" (هابرماس 1994: 112).

بالنسبة لماركس، فإن أساس مجتمع هابرماس المثالي المستقبلي موجود في العالم المعاصر. فبالنسبة إلى ماركس عناصر الموضوع النوعي موجودة في العمل في المجتمع الرأسمالي. أما بالنسبة إلى هابرماس، فتكون عناصر الاتصال غير المشوه موجودة في كل تصرف من تصرفات التواصل المعاصر.

العقلية: يقودنا هذا إلى القضية المركزية المتمثلة في العقلانية، في عمل هابرماس. تأثر هابرماس هنا بعمل ماركس، وكذلك بعمل فيبر. من وجهة نظر هابرماس، ركزت معظم الأعمال السابقة على عقلانية الفعل الهادف العقلاني، ما أدى إلى نمو القوى الإنتاجية وزيادة الهيمنة التكنولوجية على الحياة (هابرماس 1970). هذا الشكل من العقلانية - كما كان في حالة فيبر وماركس - يُعدّ مشكلة كبرى، وربما المشكلة الكبرى في العالم الحديث. ومع ذلك، فإن المشكلة هي الفعل الهادف العقلاني، وليس العقلنة بشكل عام. في الواقع، بالنسبة إلى هابرماس، فإن حل مشكلة عقلانية الفعل الهادف العقلاني يكمن في عقلانية الفعل التواصلي. إن عقلانية الفعل التواصلي تؤدي إلى تواصل خالٍ من الهيمنة، تواصل حر ومفتوح. تتضمن العقلانية هنا التحرر، أو "إزالة

قيود التواصل" (هابرماس 1970: 118، انظر أيضًا هابرماس 1979). هنا تتوافق أفكار هابرماس المذكورة سابقًا حول الشرعنات والأيديولوجيا بوجه أعم. وهذان هما السببان الرئيسيان في التواصل المشوه، سببان يجب القضاء عليهما إذا أردنا أن نتمتع بتواصل حر ومفتوح.

على مستوى المعايير الاجتماعية، فإن مثل هذه العقلانية تعني تقليل مستوى القمع والصرامة، ما يؤدي إلى زيادة المرونة الفردية والتأمل. إن التوصل لهذا النظام المعياري الجديد الأقل تقييدًا - أو غير المقيد بالمرة - يكمن في قلب نظرية هابرماس للتطور الاجتماعي. بدلًا من نظام إنتاجي جديد، تؤدي العقلانية لدى هابرماس (1979) إلى نظام معياري جديد أقل تشوهًا. ورغم أنه يعتبر هذا سوء فهم بالنسبة لموقفه، فإن العديدين اتهموا هابرماس بالتخلي عن جذوره الماركسية في هذا التحول من المستوى المادي إلى المستوى المعياري.

الهدف النهائي من هذا التطور بالنسبة إلى هابرماس هو التوصل إلى مجتمع عقلاني (دلانتي 1997). العقلانية هنا تعني إزالة الحواجز التي تشوه التواصل، ولكنها تعني بشكل أعم نظامًا للتواصل يتم فيه عرض الأفكار علانية والدفاع عنها ضد النقد، ثم التوصل إلى اتفاق غير مقيد أثناء هذا الجدل. لفهم هذا بشكل أفضل، نحتاج إلى مزيد من التفاصيل حول نظرية التواصل لدى هابرماس.

التواصل: ميز هابرماس بين الفعل التواصلي الذي تمت مناقشته سابقًا، وبين الحديث. في حين أن الفعل التواصلي يحدث في الحياة اليومية، فإن الحديث هو:

شكل من أشكال التواصل يتم حذفه من سياقات التجربة والفعل، وتضمن لنا بنيته ما يلي. أولًا: تكون صحة الادعاءات أو التأكيدات أو التوصيات أو التحذيرات هي موضوع المناقشة الحصري. ثانيًا: لا يكون المشاركون أو الموضوعات أو المساهمات مقيدين إلا بالإشارة إلى هدف اختبار صحة مثل هذه الادعاءات المشكوك فيها. ثالثًا: غياب أي قوة باستثناء قوة الحجة المثلى. رابعًا: جميع الدوافع باستثناء البحث عن الحقيقة تكون مستبعدة.

في عالم الحديث النظري، وبصورة خافية أيضًا في عالم الفعل التواصلي، هناك ما يسمى "موقف الحديث المثالي"، حيث لا تحدد قوة أو تأثير الحجج التي تربح، بل إن الحجة الأفضل هي التي تبرز منتصرة بدلًا من ذلك. إن وزن الأدلة والحجج هو ما يحدد ما يمكن اعتباره صحيحًا. الحجج التي تنشأ عن مثل هذا الحديث (والتي يوافق عليها المشاركون) هي التي تكون صحيحة]هيسه [1995. وهكذا يتبنى هابرماس نظرية الحقيقة التوافقية (بدلًا من نظرية منسوخة من الحقيقة]أوثويت 1994: 41 [. هذه الحقيقة جزء من جميع التواصلات، والتعبير عنها بالكامل هو هدف نظرية هابرماس التطورية. وكما يقول توماس مكارثي:

"تشير فكرة الحقيقة في النهاية إلى شكل من أشكال التفاعل يكون خاليًا من جميع التأثيرات المشوهة. "الحياة الجيدة والحقيقية" - التي هي هدف النظرية النقدية - تكون متأصلة في مفهوم الحقيقة. إنها متوقعة في كل أنواع التواصل"(1982 :308).

ينشأ الإجماع في الحديث من الناحية النظرية (وقبل النظرية ينشأ في الفعل التواصلي) عندما يثير المتفاعلون أربعة أنواع من الادعاءات الخاصة بمدى صحة كلام المتحدث ويدركونها. أولًا: اعتبار تفوهات المتحدث مفهومة. ثانيًا: افتراضات المتحدث تكون صحيحة، أي أن المتحدث يقدم معلومات موثوقًا بها. ثالثًا: صدق المتحدث في تقديم هذه الافتراضات، أي أن يكون المتحدث موثوقًا به. رابعًا: من حق المتحدث، ومن اللائق، أن يذكر هذه الافتراضات شفاهة، ويكون لديه أساس معياري للقيام بذلك. ينشأ الإجماع عندما يتم إثارة وقبول كل هذه الادعاءات، وينهار عندما يتم التشكيك في واحد أو أكثر. وبالعودة إلى نقطة سابقة، هناك قوى في العالم الحديث تشوه هذه العملية، وتمنع ظهور توافق الآراء، ويجب التغلب عليها حتى يتحقق المتجتمع المثالي لدى هابرماس (موريس 2001).

الفصل السادس:
النظريات التأويلية الحديثة
المنهجية الشعبية (الأثنوميثودلوجي)

تمهيد

بالنظر إلى الأصل اليوناني لكلمة إثنوميثودولوجيا، فإنها تعني حرفيًّا "الطرق" التي يستخدمها الناس بشكل يومي للسعي والإنجاز في حياتهم اليومية. ولاستعراض المفهوم بشكل مختلف قليلًا، يمكننا القول إنه ينظر للعالم على أنه إنجاز عملي مستمر. وينظر للناس على أنهم منطقيون، ولكنهم يستخدمون "عمليات التفكير اليومي" وليس المنطق الرسمي للمضي والإنجاز، في حياتهم اليومية.

تعريف المنهجية الشعبية

نبدأ بتعريف المنهجية الشعبية الموضح في الفصل 2: إنها دراسة "بناء المعرفة البديهية ومجموعة الإجراءات والاعتبارات التي يعتمد عليها أفراد المجتمع العاديون لفهم الظروف التي يجدون أنفسهم فيها وشق طريقهم من خلالها والتصرف وفقًا لها" (هيرتدج 1984، لينستيد 2006).

ويمكننا اكتساب رؤية إضافية لطبيعة المنهجية الشعبية من خلال بحث جهود مؤسسها هارولد جارفينكل (1988، 1991، 2002) ما يساعدنا في تعريفها. مثل دوركايم، يرى جارفينكل "الحقائق الاجتماعية" على أنها الظاهرة الاجتماعية الأساسية (هيلبرت 2005). ولكن الحقائق الاجتماعية التي يراها جارفينكل مختلفة تمامًا عن تلك التي يراها دوركايم. فبالنسبة لدوركايم، تعد الحقائق الاجتماعية خارجية وقهرية بالنسبة للأفراد. وهؤلاء الذين يتبعون هذا الرأي يرون أن الفاعلين يكونون مقيدين ومحددين بالبنى والمؤسسات الاجتماعية، ولا يكون لديهم الكثير من الحكم المستقل، أو لا يكون لديهم حكم مستقل على الإطلاق. وبالعبارات اللاذعة التي يستخدمها أتباع المنهجية الشعبية، فإن علماء الاجتماع هؤلاء يميلون إلى معاملة الفاعلين على أنهم "مطلقو أحكام حمقى".

وفي المقابل، تتعامل المنهجية الشعبية مع الحقائق الاجتماعية على أنها إنجاز الأعضاء (تعريف الأعضاء سيأتي فيما يلي باختصار) - فهي نتاج الأنشطة المنهجية للأعضاء. ويصف جارفينكل، بأسلوبه الفريد، تركيز الإثنوميثودولجيا كما يلي:

وبالنسبة للمنهجية الشعبية، فإن الواقع الموضوعي للحقائق الاجتماعية يعد ظاهرة أساسية في علم الاجتماع؛ نظرًا لأنه ينشأ في كل مجتمع داخليًّا وبشكل مكاني، كما يتم تنظيمه تلقائيًّا ويمثل إنجازًا عمليًّا مستمرًّا، وهو موجود دائمًا وفي كل مكان وبشكل كلي ويمثل عمل الأعضاء دون أية استراحة أو فرصة للتهرب أو الاختباء أو التأجيل أو التخطي أو الإنهاء. (1991:11)

ولاستعراض ذلك بطريقة مختلفة، تهتم المنهجية الشعبية بتنظيم الحياة اليومية، أو كما وصفها جارفينكل (1988:104)، "المجتمع العادي الأبدي". أو كما صاغها بولنر: إنها "التنظيم غير العادي للمجتمع العادي". (xvii 1987).

وبالطبع لا تعد المنهجية الشعبية علم اجتماع المستوى الأكبر بالمعنى الذي قصده دوركايم بفكرته عن الحقيقة الاجتماعية، ولكن أتباعها لا يرونها أيضًا كعلم اجتماع جزئي. لذلك، بينما يرفض أتباع تيار المنهجية الشعبية اعتبار الفاعلين على أنهم مطلقو أحكام حمقى، فإنهم لا يصدقون أن الناس "لديهم تقريبًا ردود أفعال انعكاسية لا تنتهي، وواعون ذاتيًّا وماكرون" (هيرتدج 1984:118). بدلًا من ذلك، ووفقًا لألفريد شوتز، فإنهم يعتبرون أن الفعل مجرد روتين ومن ثم فإنه غير انعكاسي. ويجادل "هيلبرت" (1992) بأن أتباع

المنهجية الشعبية لا يركزون على الفاعلين أو الأفراد، وإنما على "الأعضاء". ولكن الأعضاء لا يُنظر إليهم كأفراد، وإنما "يُنظر إلى أنشطة الأعضاء (الجماعة) وهي الممارسات الماكرة التي ينتجون من خلالها ما يمثل لهم بنية

تنظيمية واسعة النطاق أو بنية صغيرة النطاق خاصة بالتعاملات أو شخصية". (هيلبرت 1992:193). باختصار، لا تهتم المنهجية الشعبية بأي من علم اجتماع المستوى الأكبر أو الأصغر، وإنما تهتم بالممارسات الماكرة التي ينتج عنها كلا النوعين؛ لذلك، ما سعى إليه جارفينكل وأتباع المنهجية الشعبية هو طريقة جديدة للوصول إلى الاهتمام التقليدي لعلم الاجتماع من خلال بنيات موضوعية، على الصعيدين الأكبر والأصغر (مايناردو وكلايمان).

إحدى النقاط الأساسية حول طرق المنهجية الشعبية هي أنها "تفسيرية بشكل غريزي أو لا إرادي". التفسيرات هي الطرق التي يشرح (يصف، ينتقد، يعظم) بها الفاعلون مواقف محددة (بيتنر 1973؛ أوربوتش 1997). السرد هو العملية التي يقدم بها الناس حساباتهم العقلية لكي يفهموا العالم. وقد اهتم أتباع المنهجية الشعبية بشدة بتحليل سرد الناس، بالإضافة إلى الطريقة التي يقدمون بها سردهم وطريقة قبوله (أو رفضه) من قِبل الآخرين. وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت علماء المنهجية الشعبية منشغلين بتحليل المحادثات. ومثال على ذلك، عندما يشرح طالب لمعلمه لماذا فشل في أداء الاختبار، فإنه يقدم تفسيرًا؛ فالطالب هنا يحاول توضيح حدث لمعلمه. وعلماء المنهجية الشعبية مهتمون بهذا التفسير ولكنهم أكثر اهتمامًا بشكل عام بممارسات سرد التفسيرات (شاروك وأندرسون 1986) التي من خلالها يقدم الطالب تفسيره، ويقبله المعلم أو يرفضه. وعند تحليل التفسيرات، نجدهم يتبنون موقف "اللامبالاة الإثنوميثودولوجية". وهي تعني أنهم لا

يقيمون طبيعة التفسيرات وإنما يحللونها فيما يتعلق بكيفية استخدامها في الإجراء العملي. إنهم مهتمون بالتفسيرات، بالإضافة إلى الطرق التي يحتاج إليها كل من المتكلم والمستمع لتقديم وفهم وقبول أو رفض التفسيرات

وبتوسيع فكرة التفسيرات، بذل علماء المنهجية الشعبية مجهودًا كبيرًا للإشارة إلى أن علماء الاجتماع، مثل أي شخص آخر، يقدمون تفسيرات. ومن ثم، فإن تقارير دراسات علم الاجتماع يمكن أن يُنظر إليها على أنها تفسيرات،

ويتم تحليلها بالطريقة التي تفهم بها جميع التفسيرات الأخرى. وهذا المنظور حول علم الاجتماع أسهم في إحباط علماء الاجتماع - بل وجميع العلماء في الواقع، فهناك قدر لا بأس به من علم الاجتماع (وفي الواقع كل العلوم) يتضمن تفسيرات بديهية. وعلماء المنهجية الشعبية يمكنهم دراسة تفسيرات علماء الاجتماع بالطريقة التي يدرسون بها تفسيرات الشخص العادي. ومن ثم فإن الممارسات اليومية لعلماء الاجتماع وجميع العلماء تخضع لدراسة علماء المنهجية الشعبية.

يمكننا القول إن التفسيرات انعكاسية أو غريزية، بمعنى أنها تدخل في تكوين الموقف الذي تجعله قابلًا للملاحظة وتهدف إلى التعامل معه. ولذلك، فإنه عند محاولتنا لوصف ما يفعله الناس، فإننا نغير طبيعة ما يفعلونه. وهذا ينطبق على علماء الاجتماع مثلما ينطبق على الأشخاص العاديين. عند دراسة الحياة الاجتماعية وتقديم تقارير عنها، فإن علماء الاجتماع، في أثناء هذه العملية، يغيرون ما يدرسونه. أي أن الأشخاص محل الدراسة يغيرون سلوكياتهم نتيجة لكونهم خاضعين للدراسة واستجابة لوصف السلوك المقدم لهم (لمعرفة فكرة مشابهة، انظر الفصل 9 في الجزء الخاص بمناقشات جيدن).

تنويعات المنهجية الشعبية

لقد تم ابتكار كلمة إثنوميثودولوجيا من قِبل جارفينكل في أواخر الأربعينات من القرن العشرين، ولكنها صارت منهجًا مسجلًا مع نشر كتابه *Studies in Ethnomethodology* في عام 1967. ومع مرور السنين، نما مفهوم المنهجية الشعبية بشكل واسع وامتد في عدد مختلف من الاتجاهات (لينش و شاروك 2003). فبعد مرور عقد واحد فقط على نشر كتاب *Studies in Ethnomethodology*، خلص دون زيمرمان إلى أن هناك بالفعل تنويعات عديدة من المنهجية الشعبية. وكما صاغ الأمر زيمرمان، تتضمن المنهجية الشعبية "عددًا من الخطوط البحثية المنفصلة بشكل أو آخر وغير المتوافقة في بعض الأحيان" (1987:6). وبعدها بعشر سنوات، أكد بول أتكينسون (1988) انعدام

الاتساق في المنهجيه الشعبيه، بل وجادل بان بعضا من علماء المنهجيه الشعبية حادوا بعيدًا جدًّا عن الافتراضات الأساسية للمنهج. ومن ثم، فإنه على الرغم من كون المنهجية الشعبية نوعًا قويًّا من النظريات الاجتماعية، فإنها شهدت "صعوبات نمو" متزايدة في السنوات الأخيرة. ومن المقبول أن نقول إن المنهجية الشعبية وتنوعها ومشكلاتها ستنتشر في السنوات المقبلة. وعلى أية حال، فإن موضوع المنهجية الشعبية هو التنوع غير المحدود للحياة اليومية. ونتيجة لذلك، سيكون هناك المزيد من الدراسات والمزيد من التنوع والمزيد من "آلام النمو" والانتشار.

لقد وصف ماينارد وكلايمان (1991)عددًا من أنواع الفعل في المنهجية الشعبية، ولكن اثنين منها يظهران بشكل بارز من وجهة نظرنا. 1 النوع الأول هو الدراسات الإثنوميثودولوجية في السياقات المؤسسية؛ فالدراسات الإثنوميثودولوجية الأولى أجراها جارفينكل وزملاؤه (والتي تمت مناقشتها في هذا الفصل) في سياقات عادية غير مؤسسية مثل المنزل. وبعدها، كان هناك انتقال لدراسة الممارسات اليومية في مجموعة متنوعة من السياقات المؤسسية - قاعات المحاكم، السياقات الطبية (تن هاف 1995)، أقسام الشرطة - والدراسات من هذا النوع قد ازدادت منذ أوائل التسعينات من القرن العشرين (بيراكيلا 2007). والهدف من هذه الدراسات فهم طريقة أداء الناس لمهامهم الرسمية وبناؤهم، في أثناء العملية، للمؤسسة التي تحدث فيها هذه المهام.

إن دراسات علم الاجتماع التقليدية لمثل هذه السياقات المؤسسية تركز على بنيتها وقواعدها التقليدية وإجراءاتها الرسمية لشرح ما يفعله الناس في هذه السياقات. بالنسبة لعلماء المنهجية الشعبية، فإن مثل هذه القيود الخارجية تعد غير كافية لشرح ما يحدث فعلًا في هذه المؤسسات؛ فالناس لا تحددهم مثل هذه العوامل الخارجية، وبدلًا من ذلك، فإننا نجدهم يستخدمونها لإنجاز مهامهم ولخلق المؤسسة التي يتواجدون فيها؛ فالناس لا يوظفون إجراءاتهم العملية من أجل الإنجاز في حياتهم اليومية فحسب، وإنما أيضًا من أجل تصنيع منتجات مؤسساتهم. على سبيل المثال، نجد أن

معدلات الجريمة التي يتم تسجيلها في أقسام الشرطة ليست مجرد نتائج اتباع الضباط لقواعد محددة بوضوح لتحقيق هذه النتائج. وإنما بدلًا من ذلك، يستخدم الضباط بعض الإجراءات البديهية ليقرروا على سبيل المثال

ما إذا كان الضحايا يجب أن يصنفوا ضمن جرائم قتل أم لا. ولذلك ، فإن مثل هذه المعدلات تعتمد على الفعل التفسيري للمختصين، وأن هذا النوع من حفظ المعلومات هو نشاط عملي يستحق الدراسة في حد ذاته.

تحليل المحادثة

التنوع الثاني من المنهجية الشعبية هو تحليل المحادثة (راولى 2005a؛ شيجولف 2001).2 والهدف من تحليل المحادثة هو "الفهم المفصل للبنيات الأساسية للتفاعلات المحادثية". (زيمرمان 1988:492). لقد تم تعريف المحادثة بمصطلحات تتوافق مع العناصر الأساسية للمنظور الإثنوميثودولوجي: "المحادثة هي نشاط تفاعلي يُظهر خصائص ثابتة ومنظمة، والتي تمثل إنجازات يمكن تحليلها" (406). رغم أن هناك قواعد وإجراءات للمحادثة، فإنها لا تحدد ما يقال وإنما تستخدم لـ"إنجاز" المحادثة. إن محور تركيز تحليل المحادثات هو القيود على ما يقال والتي تعد داخلية بالنسبة للمحادثة نفسها، وليس العوامل الخارجية التي تقيد المحادثة؛ فالمحادثة تتم رؤيتها على أنها منظمة داخليًا بشكل متسلسل.

ويُفصل لنا زيمرمان خمسة أسس لتحليل المحادثة. أول هذه الأسس أن تحليل المحادثة يتطلب جمع وتحليل بيانات مفصلة للغاية حول المحادثات. وهذه البيانات لا تتضمن فحسب الكلمات وإنما أيضًا

التردد، التوقف، إعادة البدء، فترات الصمت، ضجيج الأنفاس، التنحنح، الشهقات، الضحك، الأصوات الشبيهة بالضحك، ونهايات مقاطع الكلام، وغير ذلك، ناهيك عن السلوكيات "غير اللفظية" التي تكون متاحة في مقاطع

الفيديو، والتي عادة ما تتكامل بشكل وثيق مع تدفق النشاط المسجل على الشريط الصوتي. (1988:413)

كل هذه الأمور هي جزء من معظم المحادثات، ويتم النظر إليها على أنها وسائل منهجية تستخدم في صنع المحادثة من قِبل المتحدثين. (لينش 1999).

ثانيًا، حتى أدق تفاصيل المحادثة لا بد من افتراض أنها إنجاز منظم. فمثل هذه الجوانب الدقيقة للمحادثة لا تعد منظمة فحسب بالنسبة لعلماء المنهجية الشعبية، حيث كانت في البداية "منظمة من خلال الأنشطة المنهجية للفاعلين الاجتماعيين أنفسهم" (زيمرمان 1988:415).

ثالثًا، التفاعل بشكل عام، والمحادثة على نحو خاص، لهما خصائص ثابتة ومنظمة تمثل إنجازات المشتركين في التفاعل؛ فعند النظر إلى المحادثات، يتعامل علماء المنهجية الشعبية معها على أنها مستقلة ومنفصلة عن العمليات الإدراكية للأشخاص وعن السياق الأكبر الذي تتم فيه المحادثات.

رابعًا، "يتمثل الإطار الأساسي للمحادثة في نظام متسلسل" (زيمرمان 1988:422). وأخيرًا، وبشكل متصل مع ما سبق، "فإن المحادثة تعتمد على تبادل الأدوار أو على أساس مكاني" (423). وهنا، يستشهد زيمرمان بالفرق الذي وضحه هيرتدج بين المحادثة "المكونة للسياق" والمحادثة "المجددة للسياق"؛ فالمحادثات تكون مكونة للسياق، بمعنى أن أي شيء يقال في أية دقيقة يتشكل وفقًا للسياق المتسلسل السابق للمحادثة. وتكون المحادثات مجددة للسياق، بمعنى أن ما يقال في الدور الحالي يصبح جزءًا من السياق في الأدوار التالية.

وبشكل منهجي، يقاد محللو المحادثات إلى دراسة المحادثات في مواقف حدوثها الطبيعية، ويكون ذلك عادة باستخدام الشرائط الصوتية أو شرائط الفيديو. وهذه الطريقة تجعل المعلومات تتدفق من الحياة اليومية، بدلًا من

فرضها من قِبل الباحث؛ فالباحث يمكنه أن يفحص ويعيد فحص المحادثات الحقيقية بشكل مفصل، بدلًا من الاعتماد على ملاحظاته. وهذا الأسلوب يسمح للباحث أيضًا بأن يجري تحليلًا مفصلًا إلى حد كبير للمحادثات.

ويعتمد تحليل المحادثة على افتراض أن المحادثات هي الدعامة الأساسية للأشكال الأخرى من العلاقات التفاعلية بين الأشخاص (ديفيد جيبسون 2000). إنها الشكل السائد للتفاعل، والمحادثة "تتكون من المصفوفة الكاملة لممارسات وإجراءات التواصل المنظمة اجتماعيًّا" (هيرتدج وأتكينسون 1984:13).

الفصل السابع
النظرية النسوية

مقدمة

تاريخيا ارتبطت النظرية النسوية وبحوث المساواة ارتباطا مشتركا وشكلا تطورا متبادلا بحيث أن تطور أحدهما كان يصب في تطور الآخر، وعلي الطرف الآخر توجد علاقة متبادلة بين النسوية وعلم الاجتماع من حيث تأثير علم الاجتماع في النسوية وتأثير النسوية في علم الاجتماع42، وغدت النظرية النسوية في علم الاجتماع مرتبطة بالعديد من المناظير والنظريات الاجتماعية الأخرى فترتبط علي سبيل المثال بنظرية النوع Gender Theories وكذلك الدور الاجتماعي Social Role، والتحررية Liberalism ومقابلها الكولونالية colonialism ، كما ارتبطت النظرية النسوية بالعديد من التخصصات الفرعية وموضوعات متنوعة متصلة بعلم الاجتماع السياسي والأسري والاقتصادي والتحرر الاجتماعي وغيرها من الموضوعات43

الأصول الأبستمولوجيا للنظرية النسوية

النظرية النسوية هو امتداد للنسوية في الخطاب النظري والفلسفي فالهدف الأساسي لهذه النظرية فهم عدم المساواة بين الجنسين وسياسات المتصلة بالجنسين وتمكين المرأة المتصل بحقوقها ومصالحها واهتماماتها، ومن ثم فإن النظرية النسوية مهمة لفهم عدم

---

[42] David, Miriam. (2004). Feminist sociology and feminist knowledges: Contributions to higher education pedagogies and professional practices in the knowledge economy. International Studies in Sociology of Education. 14. 99-124. 10.1080/0962021040020121.

[43] Annandale, Ellen & Clark, Judith. (2008). What is gender? Feminist theory and the sociology of human reproduction. Sociology of Health & Illness. 18. 17 - 44. 10.1111/1467-9566.ep10934409.

المساواة بين النوع الاجتماعي Gender Inequality والدور الاجتماعي للجنسين، لذا فإن النظرية تركز علي استقلال المرأة autonomy وكرمتها Dignity[44].

إن هذه المقدمة تحيلنا إلي الحديث عن نشأة هذه النظرية وانتقالها إلي الدراسات الاجتماعية ومن ثم تكوين نظرية ومنظور تنظيري تحت مسمي النظرية النسوية ، وبناء عليه يمكن استخدام مصطلح النسوية لوصف حركة سياسية أو ثقافية أو اقتصادية تهدف إلى إنشاء حقوق متساوية وحماية قانونية للمرأة. تتضمن النسوية نظريات وفلسفات سياسية واجتماعية تهتم بقضايا الاختلاف بين الجنسين ، بالإضافة إلى حركة تدافع عن المساواة بين الجنسين، وتنظم حملات من أجل حقوق المرأة ومصالحها. على الرغم من أن مصطلحي "النسوية" feminism والتيار النسوي feminist لم يكتسبا استخدامًا واسعًا حتى السبعينيات من القرن العشرين، إلا أنهما كانا يستخدمان بالفعل في اللغة العامة قبل ذلك بكثير ؛ على سبيل المثال ، تحدثت كاثرين هيبورن Katherine Hepburn عن "الحركة النسوية" في فيلم عام 1942 تحت مسمي "امرأة العام"[45].

وعلي الجانب الآخر ، النسوية هي نوع مميز من علم الاجتماع النقدي. هناك اختلافات كبيرة بين أنواع النسوية ؛ على سبيل المثال ، غالبًا ما تُعزى الاختلافات إلى الموجة الأولى من الحركة النسوية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، والموجة الثانية من الحركة النسائية من الخمسينيات إلى السبعينيات ، والموجة الثالثة من النسوية من الثمانينيات فصاعدًا.

وبناء عليه ينقسم تاريخ الحركات النسوية في الغرب إلي ثلاث موجات، وكل نوع من هذه الموجات يتعامل مع بعض القضايا النسوية: حيث تشير الموجة الأولي إلي الحق الانتخابي للمرأة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة تم الترويج لحقوق

---

[44] Akinola, A., Kaseeram, I., & Jili, N. (2020). *The new political economy of land reform in South Africa*. Switzerland: Springer Nature. P269.

[45] al-kohlani, s. (2019). *Improving educational gender equality in religious societies*. [place of publication not identified]: palgrave macmillan.

الزواج وحق التملك للمرأة وقد بدأت هذه الموجة خلال القرن التاسع عشر حتي مطلع القرن العشرين، أما الموجة الثانية، فقد أشارت إلي الأفكار والأفعال المرتبطة بتحرر المرأة وإنهاء التمييز بين الرجل والمرأة ، وقد بدأت في الستينيات من القرن العشرين، أما الموجة الثالثة والتي تعرف بمرحلة ما بعد النسوية post–feminism ، فقد كانت استمرارا لإخفاقات الموجة الثانية ومحاولة معالجتها وبدأت في فترة التسعينيات46.

كما تعرضت النظرية النسوية لتأثير الجنس أو النوع علي اللغة في مجال الخطابة السياسية حيث ناقش كارلن كوهرس Karlyn Kohrs وآخرون مسألة أمتلاك النساء لموهبة الخطابة، حيث رأت أن الأسلوب النسوي يغلب عليه طابع التفكير الملموس، بدلا من التفكير التجريدي الذي يتصف به أسلوب الرجال(47).

أكدت المناظير الاجتماعية علي مركزية الجنس في تحليل العالم الاجتماعي ، بيد أن تنوع وجهات النظر النسوية تجعل من الصعب الحديث عن التعميم ، فيمكن القول بأمان أن الاتجاهات النسوية ، وافقت علي أن المعرفة ترتبط بشكل كامل بمسائل الجنس Sex والنوع Gender، لأن النساء لديهن خبرات مختلفة، ويرون العالم من مناظير مختلفة فلا يبنون فهمهم للعالم بشكل متماثل(48).

إن السؤال وراء النسوية الحديثة بدأ بإدراك سؤال بسيط : " وماذا عن النساء؟ وبعبارة أخري، أين النساء من أي موقف يتم بحثه؟ فإذا لم يكن موجودات، لماذا؟ وإذا ما كن موجودات، فماذا يفعلن بالتحديد؟ كيف يضعن خبرتهن في المواقف الاجتماعية؟ وماذا يسهمن فيها؟ وماذا يعني لهن هذا الأسهام؟

46 Krolokke, Charlotte; Anne Scott Sorensen (2005). "Three Waves of Feminism: From Suffragettes to Grrls". Gender Communication Theories and Analyses:From Silence to Performance. Sage. p. 24.

47 Cindy L. Griffin (2009) Feminist Communication Theories, Encyclopedia of communication theory / Stephen W. Littlejohn, Karen A. Foss, editors., SAGE Publications, Inc. pp 390- 394

48 Anthnoy Giddens (2009) sociology, 6th edition, UK, polity press, p 95.

وبعد أكثر من ثلاثون عاما من توجيه هذا السؤال، انتج إجابات عامة إن النساء موجودات في معظم المواقف الاجتماعية ، وعدم وجودهن لا يعني نقص مقدرتهن وإهتماماتهن، ولكن هناك جهود تحكمية لاستبعادهن، ومن حيث تواجدهن فإنهن يلعبن أدورا مختلفة بشكل شعبي، علي سبيل المثال (زوجات سلبيات وأمهات سلبيات) وفضلا عن كونهن أمهات وزوجات سلبيات، فلهن سلسلة من الأدوار الأخرى، فالمرأة نشطة في مع معظم المواقف الاجتماعية كونهن دارسات ويعملن في المجال العام، وكذلك كونهن فاعلات اجتماعيات ، بيد أن كل من الذكور والإناث لا يدركوا هذا الدور.

أما السؤال النسوي الثاني، فيدور حول ، لما هذا الموقف بهذا الشكل ، وكما نادي السؤال الأول بوصف العالم الاجتماعي ، فإن السؤال الثاني يتطلب تفسير هذا العالم ، فإن الوصف والتفسير هما واجعتين (مصادر اهتمام) للنظرية الاجتماعية ، وإجابة النسوية عن هذين السؤالين تعطينا نظرية اجتماعية عامة ، والسؤال الثالث لكل النسويات هو ، كيف نغيرن ونحسنّ العالم الاجتماعي لنجعله مكانا عادلا للنساء ، وكذلك لكل الناس؟

إن السؤال الأول وماذا عن النساء ؟ انتج استجابات ذات دلالة من قبل النظريات الاجتماعية الكبري، حيث تجلت في ثلاث نظريات هي البنائية الوظيفية ، ونظرية الصراع ، ونظرية نظم العالم، وهذه النظريات استخدمت نفس العملية التحليلية في وضع الجنس Gender في حساب الظاهرة الاجتماعية، فأولا عرفوا الظواهر بأنها نظام من العلاقات المتداخلة والبني التفاعلية التي تفهم بوصفها "نماذج منتظمة في السلوك البشري". ويمكن طرح هذه النظريات للجنس علي النحو التالي:

البنائية الوظيفية: من البارزات في هذا المجال ميريام جونسون Miriam Johnson بوصفها تنتمي إلي التيار النسوي الوظيفي ، فقد عرفت ميريام بداية فشل البنائية الوظيفية في وضع تفسير كاف لعدم حصول النساء علي وضعهن في المجتمع، حيث قبلت بفكرة التحيز الجنسي غير المقصود وفقا لنظرية تاتكول بارسون Tatcoll Parson theory الخاصة بالأسرة، حيث رأت أن البنائية الوظيفية تهمش قضايا عدم

المساواة الاجتماعية، والسيطرة، والإضطهاد كرغبة أصيلة في اهتمام الوظيفية الأساسي وهو بقاء النظام.

نظرية تحليل الصراع : من المنظرات البارزات في هذا المجال جانت شافيت Janet Chafet ، اعتمدت دراسات شافيت علي مدخل التقاطع الثقافي Cross cultural والتحول التاريخي، وحاولت تنظير الجنس وفقا للنماذج الاجتماعية مركزة علي عدم المساواة الجنسية، كما وضعته عنوانا تدرج الجنس Sex Stratification ،(أي أن الذكور طبقة تعلو علي طبقة الإناث) وقد اتسقت شافيز مع نظرية تحليل الصراع، حيث وجدات أشكالا مكررة للصراع الاجتماعي واخضعتها للتحليل ، وتوصلت أن الظروف البنائية تنتج صراعا ذو درجة عالية أو منخفضة الحساسية.

ومن ثم استعرضت شافيت الظروف والبني الاجتماعية التي تؤثر في تدرج الجنس أو عدم إعطاء المرأة مميزاتها في كل الثقافات والمجتمعات وتضمنت درستها دور الاختلافات الجنسية، والأيديولوجية الأبوية Patriarchal Ideology ، والأسرة، ومنظمات العمل، ووضعت الظروف في إطار مثل نماذج المواليد Fertility Patterns وانفصال الأزواج ، ومواقع العمل، والدعم الاقتصادي ، والكثافة السكانية، والبيئات القاسية، ودرست هذه الظروف كمتغيرات، حيث رأت أن هذه الظروف تحدد طبقة الجنس ، حيث توصلت إلي أن خبرة النساء تقلل عدم حصول المرأة علي مميزات عندما تتوازن مسئولياتهن مع مسئولية أزواجهن، وعندما يكون لهن دور مستقل وذو مغزى في العمل(49).

نظرية نظم العالم : من رواد هذه النظرية كاثرين بي وارد Kathryn B Ward ، حيث رأت أن نظام العالم لا يمكن أن يفهم حتي يكون العاملون في المنزل والعالمون في الاقتصاد غير الرسمي يخضعون للدراسة، لأن المرأة تشكل نسبة كبيرة من هذه القوة،

49 George Ritzer and Dougles J. Goodman (2004) Modern Sociological Theory, 6th edition, London The Mll Companyies.

ومن ثم يجب أن يعطي النساء دورا أكبر في نظرية نظم العالم، ويجب إلا يدرسوا تحت عنوان عاملين، فالعاملات في المنزل يسهمن في إنجاز العمل، كما أن الاقتصاد غير الرسمي "منظمة العمل التي لا يوجد فصل بين العامل ورأس المال وهي عمالة غير رسمية" يسهمن أيضا في إنجاز العمل ، حيث أن هذين الفئتين يشكلان أكثر من 66% من إجمالي قوة العمل، وهذه النسبة الكبيرة تجعلنا نكرر السؤال ، وماذا عن النساء؟

تركزت أطروحات هذه النظرية حول أربعة محاور يتصل المحور الأول باختلافات الجنس ، حيث تري هذه النظرية أن موقع النساء وخبرتهن في معظم المواقف مختلفة عن مواقف الرجال، ويهتم بهذا المحور النسوية الثقافية والمؤسستية institutional والوجودية ، أما المحور الثاني الخاص بعدم المساواة في الجنس phenomenological والظاهراتية يري أن موقع النساء في معظم المواقف ليس مختلفا فقط عن الرجال، ولكنهن أيضا أقل عدلا عن الرجال، ويهتم بهذا المحور التحريرية النسوية والماركسية من خلال تفسيرات ماركس وانجل ، والماركسية المعاصرة، أما المحور الثالث الخاص باضطهاد النوع يري أن النساء مضطهدات فليس هن مختلفات عن الرجال وغير متساويات، بل يتم التضيق عليهن ويتم إخضاعهن للرجال، وينظر إليهن باحتقار ويتم استخدامهن من قبل الرجال، ويُسَئ استعمالهن، ويعتدي عليهن من قبل الرجال، ويهتم بهذا المحور النسوية الاجتماعية ونظرية تقاطع أشكال التمييز Intersectionality Theory.

على الرغم من الاختلافات بين الأنواع المختلفة للمقاربة النسوية ، هناك أربع خصائص مشتركة في المنظور النسوي:

1. النوع الاجتماعي هو محور التركيز أو الموضوع الرئيسي للمنظور.
2. يُنظر إلى العلاقات بين الجنسين على أنها مشكلة: موقع عدم المساواة والتوترات والتناقضات الاجتماعية.
3. العلاقات بين الجنسين ليست ثابتة: فهي اجتماعية وتاريخية بطبيعتها ، وهي عرضة للتغيير والتقدم.
4. النسوية تدور حول التزام تحرري بالتغيير: يجب تغيير ظروف الحياة القمعية للمرأة.

وثمة خمس تيارات أساسية في النسوية: الماركسية ، الراديكالية، والاشتراكية، والليبرالية ، والسوداء.

النظرية النسوية والرؤية الماركسية:

إن المكان المناسب لتحديد موقع بداية النقاشات النظرية حول المرأة والطبقة والعمل يتمثل في التقاطع بين الماركسية والنسوية. لم تتشكل مثل هذه المناقشات من خلال الاستفسارات الأكاديمية فحسب ، بل كانت أيضًا أسئلة حول العلاقة بين اضطهاد المرأة وتحريرها والسياسات الطبقية لليسار والحركات النقابية والنسوية في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، لا سيما في الولايات المتحدة وبريطانيا وأوروبا50.

قامت الحركة النسوية على مجموعة فرضيات التي أسست لحركة النسوية الماركسية، ومن هذه الفرضيات ما يلي:51

1- يعتبر النظام الأبوي Parental system هو الأساس في قيام الوضع الذي خلق الوضع المتدني للمرأة، وهو يعتبر المسؤول الرئيسي عن الظلم والقهر والاضطهاد الذي تعرضت له المرأة . كما تطرقت النسوية فيما يتصل بالعلاقات الأسرية إلي النموذج المثالي idealized template الخاص بالرجل الأبيض والطبقة الوسطي خاصة في الغرب ، المتصلة بسيطرة الرجل الأبيض ، والمشاكل التي تقابل الطبقة الوسطي.

2- إن المنظور النسوي له الكثير من القواسم المشتركة مع منظور الصراع وخلال هذه الدورة ، سنناقش عادة النظرية النسوية جنبًا إلى جنب مع نظرية الصراع ، على الرغم من أن الكثيرين يعتبرونها تستحق تصنيفها الخاص. في حين تركز نظرية الصراع

---

50 Feminist Perspectives on Class and Work (Stanford Encyclopedia of Philosophy). (2021). Retrieved 8 April 2021, from https://plato.stanford.edu/entries/feminism-class/

51 Allen, Katherine & Jaramillo-Sierra, Ana. (2015). Feminist Theory and Research on Family Relationships: Pluralism and Complexity. Sex Roles. 73. 10.1007/s11199-015-0527-4.

بشكل عام على التوزيع غير المتكافئ للسلطة والموارد ، يدرس علم الاجتماع النسوي القوة في علاقتها بالنوع الاجتماعي. تمت دراسة هذا الموضوع داخل الهياكل الاجتماعية بشكل عام (على المستوى الكلي) وأيضًا على المستوى الجزئي للتفاعل وجهاً لوجه. بسبب هذه الدراسة على المستوى الجزئي ، يتم في بعض الأحيان تجميع النظرية النسوية مع التفاعل الرمزي. يدرس الباحثون النسويون مجموعة من الموضوعات ، بما في ذلك التوجه الجنسي والعرق والوضع الاقتصادي والجنسية. ومع ذلك ، فإن جوهر علم الاجتماع النسوي هو فكرة أنه في معظم المجتمعات ، تعرضت النساء للقمع بشكل منهجي وأن الرجال كانوا مهيمنين تاريخيًا. يشار إلى هذا باسم الأبوية52.

3- من العمل المبكر لعلماء الاجتماع من النساء مثل هاريت مارتينو Harriet Martineau، ركز علم الاجتماع النسوي على علاقات القوة وعدم المساواة بين النساء والرجال. كيف يمكن معالجة ظروف عدم المساواة التي تواجهها المرأة؟ كما قالت هاريت مارتينو في المجتمع في أمريكا (1837):(1837) *Society in America*

4- " ففي مناقشتها لبنود استقلال المجتمع الأمريكي رأت : ، هل يجب أن نفهم أن مبادئ إعلان الاستقلال لا علاقة لها بنصف الجنس البشري؟ إذا كان الأمر كذلك ، فما هو أساس هذا القيد؟ مؤكدة علي حقوق المرأة في المجتمع الأمريكي المتصلة بمبادئ الاستقلال العالمي لابد أن تشير إلي المرأة والحقوق المتساوية مع الرجل، وليس إلي تحرير الشعوب فقط"

[52] Reading: Feminist Theory | Sociology. (2021). Retrieved 8 April 2021, from https://courses.lumenlearning.com/alamo-sociology/chapter/reading-feminist-theory/

5- تعتبر عملية إنجاب الأطفال وما يترتب عليها فيما بعد من علاقات هي العامل الأساسي والرئيسي في تفسير الظلم والقهر الذي تعرضت له المرأة، ودور المرأة في عملية الإنجاب هو المسؤول الأساسي عن تدني وضع المرأة الاجتماعي.

6- تحديد شكل ومسار الحركة النسوية لا بد أن يكون موجه ضد ما يعرف بالتفوق الذكري على المرأة والأخذ بعين الاعتبار أن الرجل هو ما يجب مواجهته والنضال ضده.

7- وبالتالي تشكلت النظرية والحركة النسوية، وليس كما هو سائد من أجل رفض ونقد النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، ولكن من أجل تنفيذ الأسس في نظرية ماركس التي تعمل على تفسير التمييز بين الرجل والمرأة وتقسيم الأدوار بينهم.

8- وفي إطار وشكل العلاقات الملكية التي انتشرت وسادت في مجتمعات مختلفة ومتعددة والطبقية من خلال التطور الاجتماعي الذي مرت فيه المجتمعات البشرية والإنسانية، وما يدل على ذلك استخدام مفاهيم جديدة التي تم استبدالها في المفاهيم الرئيسية التي تم استخدامها في النظرية الماركسية.

9- فتمّ استبدال النظام الطبقي بالنظام الأبوي وعملية الإنتاج في مقابلها عملية الإنجاب، وعلاقات الإنجاب في مقابلها علاقات الإنتاج والنضال ضد التفوق، كما كشفت الكثير من الآراء والانتقادات التي اوجدتها الكتابات الراديكالية للحركة النسوية. والأسس والمبادئ التي قامت عليها النظرية وأقاموا عليها أيدلوجيتهم وأن الحركة النسوية تحتوي على الدعم الرأسمالي القائم، ولا تتعدى كونها حركة ليبرالية تمثل النساء في الطبقة البرجوازية التي تطالب بالمزيد من الحريات التي تتمتع بها المرأة في هذه الطبقة والتي تطالب في المساواة مع الرجال. إن أكثر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التي انتشرت في القرن العشرين اهتمت بموضوع التمييز بين دور المرأة والرجل وتقسيم العمل

فيما بينهم، وبالتالي من الممكن تصنيفها إلى أربعة أنماط من الدراسات والأبحاب التي تختلف باختلاف الجوانب والمفاهيم ومنها:

1- النمط الذي يهتم بتحديد الفروق بين المرأة والرجل.
2- النمط الذي يهتم بالمعايير والأدوار التي تتعلق بالرجل والمرأة.
3- النمط الذي يهتم بالنساء باعتبارها من الجماعات القليلة.
4- النمط الذي يهتم بالنساء والذي يعتبر المرأة بأنها من الجماعات السياسية.

النسوية الراديكالية (المتطرفة)

يرى النسويين الراديكالين أن خضوع المرأة في المجتمع يرجع إلى نظام سلطة الأب الذي يهيمن على كافة قطاعات المجتمع ومؤسساته.

ويرى النسويون الراديكاليون أن كل مجالات الحياة في المجتمع تتسم بالقهر فكل مؤسسة أو نظام اجتماعي إنما هو نسق يقوم فيه بعض الناس بالهيمنة على البعض الآخر فيه ، كما يوجد في أكثر أبنية المجتمع محورية، وكذلك في أنواع الارتباطات القائمة بين جماعات كبرى أو فئات عريضة بين الناس يوجد فيها جميعا نموذج متصل من الهيمنة والخضوع، وأهم تلك النماذج جميعا حسبما يرى النسويون الراديكاليون نموذج أو نظام سلطة الأب ففي ظل نظام سلطة الأب يتعلم الرجال أن ينظروا إلى النساء بوصفهن لسنا من البشر وأن عليهم أن يخضعوهن أو يسيطروا عليهن وتتجلى هذه السيطرة بعدة طرق ولكنها تؤدي جميعا إلى قهر الرجال للنساء ولذلك يعد مفهوم العنف ذا أهمية محورية لفهم هذه السيطرة، و نصادف لدى النسويين الراديكاليين آراء متباينة ومتطرفة فيما يتعلق بمكونات العنف أو مقوماته ولكنهم يجمعون بكل تأكيد على أن العنف يرتبط بنظام سلطة الأب ارتباطا لا ينفصم، ويرون أن هذا العنف يمكن أن يكون مستترا متخفيا وراء نماذج معقدة من الاستغلال وأساليب التحكم أو يكون سافرا ظاهرا يتجلى مثلا في

أشكال العنف البدني والاغتصاب والإساءة الجنسية واستغلال المرأة في الأعمال الإباحية...الخ.

النسوية الاشتراكية:

سعى النسويون الاشتراكيون إلى التأليف بين أشمل وأهم مدرستين نسويتين وهما المدرسة الماركسية والمدرسة النسوية الراديكالية وقد أدى ذلك في الحقيقة إلى تكون نوعين من النسوية الاشتراكية:

- يركز **النوع الأول** كلية على قهر المرأة لمحاولة فهمه بطريقة تجمع بين المعرفة بالقهر الطبقي المستمدة من الماركسية والمعرفة بقهر النوع المستمدة من النسوية الماركسية.
- أما **النوع الثاني** من هذا التوجه فيحاول أن يصف ويفسر كافة أشكال القهر الاجتماعي مستخدما المعرفة بنظم التدرج الطبقي والنوعي كمنطلق لفهم أنظمة القهر التي لا تكتفي بالتركيز على الطبقة والنوع وحدهما وإنما تهتم كذلك بأبعاد العرق والهوية الإثنية والميل الجنسي والعمر والوضع في سياق التراث بالعالمي للأمم.

وتحاول النسوية تطوير فهم للعلاقة بين نظام سلطة الأب و النظام الرأسمالي زاعمة أن النظام سلطة الأب يتخذ شكلاً خاصاً في المجتمعات الرأسمالية ويذهب النسويون الإشتراكيون إلى أن نظام سلطة الأب سابق في الوجود على الرأسمالية وبذلك يكون مستقلا عنها ففي المجتمعات السابقة على عصر الصناعة تم تهميش النساء بشكل تدريجي وقصر دورهن على العمل داخل المنزل حيث أصبح الرجال أكثر سيطرة على مجال الإنتاج ثم استكملت الرأسمالية هذه العملية فزاد استبعاد النساء من كل مجالات

الحياة الاجتماعية وتأكد دور الرجال وتدعم في المجال العام وأصبحت هوية المرأة تستمد أساسا من دورها المنزلي وحده.

النسوية الليبرالية:

النسوية الليبرالية جماعة أقلية داخل النظرية النسوية تتبنى أفكارا أقل راديكالية أو تطرفا وأقل إثارة للجدل من التيارات الأخرى للنظرية النسوية، يرى النسويون الليبراليون أن عدم المساواة بين النوعين الرجال والنساء إنما هي نتيجة تقسيم العمل على أساس الجنس وهم يرون أن المجتمع يحبذ التوجه الذي يحتم وجود مجال عام ومجال خاص، حيث يتركز الرجال أساسا في المجال العام بينما يتم وضع النساء في المجال الخاص وتعمل التنشئة الاجتماعية على غرس هذه الأفكار وتدعيمها بحيث ينمو الأطفال وهم متقبلين دون أي اعتراض مكانهم في سوق العمل المقسم وفقا للنوع.

ومن أدوات التنشئة الاجتماعية التي تزداد أهميتها باضطراد وسائل الإعلام ويرى النسويون الليبراليون أن الأفراد يتم تدريبهم بواسطة وسائل إعلام وغيرها من المؤسسات الاجتماعية على أن يمتثلوا لأنماط السلوك التي تؤدي بلا وعي والصور التي تذيعها وترددها وسائل الإعلام إلى مقاومة التغيير بطبيعته لأنها تعكس الاتجاهات الاجتماعية السائدة وهكذا يتم حتى الآن تجاهل النساء أو تهميشهن في وسائل الإعلام ومازال يتم إلغاء النساء رمزيا بعد خمسين عاما من ظهور النظرية النسوية.[53]

النسوية السوداء:[54]

ويؤكد النسويون السود أن النظرية النسوية التي تخفق في فهم وتنظير التحيز العنصري تكون نظرية معيبة لهذا يدعون إلى محاولة التعرف على التحيز العنصري بنفس محاولة فهم الانحياز الجنسي للرجال وإلى تصوير تجارب بعض النساء السود في

(12) ميل تشيرتون, آن براون، علم الاجتماع النظرية والمنهد، ترجمة هناء الجوهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة،2012، ص 150

(13) المرجع السابق، ص 156

ضوء اضطهاد ثلاثي الأبعاد فهن يتعرضن لاضطهاد مركب من ثلاثة أبعاد إذا كن ينتمين إلى الطبقة العاملة، وكن نساء وسود أيضا وقد عرض هذا الرأي في كتاب براين وزملاؤه: " جوهر العرق: حياة النساء العاملات في بريطانيا " والذي جاء فيه إذا كنتي سيدة سوداء فعليك أن تبدئي من نقطة الانتماء العرقي ولدعم هذا الرأي لفت النظر إلى طائفة من أنواع الاضطهاد العرقي التي تتعرض لها النساء في بريطانيا المعاصرة وفي دراسة أحدث لفت الوسن وزملاؤه النظر إلى الاضطهاد ثلاثي الأبعاد أو التشابك المعقد الذي يؤثر على فرص الفتيات السود في تحقيق النجاح داخل المؤسسات التعليمية.

مابعد النسوية Postfemnism

يستخدم مصطلح ما بعد النسوية لوصف ردود الفعل ضد التناقضات والغياب في النسوية ، وخاصة النسوية من الموجة الثانية والنسوية من الموجة الثالثة.

ما بعد النسوي هو الشخص الذي يؤمن في أو يروج أو يجسد أي من الأيديولوجيات المختلفة المنبثقة عن الحركة النسائية في السبعينيات ، سواء كانت داعمة أو معادية للنسوية الكلاسيكية.

تم استخدام المصطلح في الثمانينيات لوصف رد فعل عنيف ضد الحركة النسائية من الموجة الثانية. أصبحت ما بعد النسوية الآن تسمية لمجموعة واسعة من النظريات التي تتخذ مقاربات نقدية للخطابات النسوية السابقة وتتضمن تحديات لأفكار الموجة الثانية.

الفصل الثامن: نظريات تجاوز الثنائيات (جيدنز)

التكامل بين صفة الفاعل والبنية

إن زيادة اهتمام النظريات الأمريكية في علم الاجتماع بمسألة الجزء والكل، قابلها اهتمام متزايد بين المنظّرين الأوروبيين بالعلاقة بين صفة الفاعل والبنية. في الواقع، كان هذا الاهتمام قويًّا لدرجة أن فولر (1998) وصفه بأنه "جنون". على سبيل المثال، أكدت مارجريت أرتشر أن "المشكلة بين البناء وصفة الفاعل تُرى على نحو صحيح بأنها المشكلة الرئيسية في النظريات الاجتماعية الحديثة" (ix:1988). في الواقع، تقول مارجريت إن تناول هذا الرابط (بالإضافة إلى سلسلة من الروابط الأخرى المتضمنة فيه) أصبح "الاختبار الحاسم" للنظريات الاجتماعية العامة و"المشكلة المركزية" في النظريات (أرتشر x:1988). وفي وقت سابق، مضى داوي في الأمر أكثر من "أرتشر" قائلًا: "هنا إذن الإشكالية التي من الممكن أن يُكتب بناء عليها التاريخ الكامل لتحليل علم النفس؛ وهي إشكالية البنية الإنسانية" (1978: 379). ويتضمن تركيز داوي على صفة الفاعل أيضًا اهتمامه بالبناء الاجتماعي وكذلك التوتر الدائم بينهما.6

على مستوى سطحي، تبدو مسألتا التكامل بين الجزء والكل، وبين صفة الفاعل والبنية، متشابهتين، وهما كثيرًا ما يتم تناولهما باعتبارهما متشابهين إلى حد كبير. لكن هناك طرقًا أخرى للتفكير في مسألتي التكامل بين الجزء والكل، وبين صفة الفاعل والبنية، توضح اختلافات كبيرة بين هذين التصورين.

رغم أن صفة الفاعل تشير بوجه عام إلى الفاعلين الاجتماعيين البشريين الأفراد على المستوى الجزئي,7 فإنها من الممكن أن تشير أيضًا إلى الجماعات (الكلية) التي تقوم بأفعال. على سبيل المثال، يرى بيرنز الفاعلين البشر على أنهم "أفراد، وكذلك مجموعات منظمة ومؤسسات وأمم" (1986:9). ويركز "تورين" (1977) على الطبقات الاجتماعية كفاعلين. وإذا تقبلنا هذه الجماعات كوكلاء، لا يمكننا المساواة بين صفة الفاعل والظواهر المرتبطة بالمستوى

الجزئي. بالإضافة إلى ذلك، رغم ان البناء عادة ما يشير إلى البنى الاجتماعية واسعة النطاق، فيمكن أيضًا أن تشير إلى البنى الجزئية مثل تلك الموجودة في التفاعلات الإنسانية. ويتضمن تعريف جيدينز للأنظمة (وهو أقرب للمعنى المعتاد للبنية أكثر منه إلى مفهوم جيدينز الخاص عن البناء) كلا النوعين من البنى لأنه يتضمن "علاقات مستنسخة بين الفاعلين أو الجماعات" (66:1979). ومن ثم يمكن لكل من صفة الفاعل وللبناء أن يشير إلى ظواهر المستوى الأصغر أو المستوى الأكبر أو كليهما.

وبالنظر إلى الفرق بين الجزء والكل، عادة ما يشير الجزء إلى نوعية الفاعل المبدع الواعي الذي يشغل اهتمام العديد من منظري صفة الفاعل، لكن يمكن أن يشير أيضًا إلى "صاحب سلوكيات" أكثر عشوائية، والذي يشغل اهتمام علماء السلوكيات، وواضعي نظريات التبادل الاجتماعي، وواضعي نظريات الخيارات العقلانية. وبالمثل، يمكن أن يشير اللفظ كل؛ ليس فقط إلى البنى الاجتماعية واسعة النطاق، ولكن أيضًا إلى ثقافة الجماعات. ومن ثم فإن الجزء قد يشير وقد لا يشير إلى "الفاعلين"، والكل قد يشير وقد لا يشير إلى "البنى".

عندما ننظر عن قرب إلى مخططات الجزء والكل، ومخططات صفة الفاعل والبنية، نجد أن هناك اختلافات كبيرة بينهما.

أمثلة رئيسية على التكامل بين صفة الفاعل والبنية

نظرية البناء. تعد نظرية البناء لـ أنتوني جيدينز (براينت و جاري 2011، وآي. كوهين 1989 و2005، وكريب 1992؛ وهيلد و طومسون 1989) من أشهر وأوضح المساعي للتكامل بين صفة الفاعل والبنية. يذهب جيدينز إلى حد القول: "كل تحقيق بحثي في العلوم الاجتماعية
أو التاريخ يتناول ربط الفعل [والذي عادة ما يطلق عليه في هذا الصدد صفة الفاعل] بالبناء... ليس من المنطقي أن "يحدد" البناء الفعل، أو العكس"

رغم أن جيدينز ليس ماركسيًّا، هناك تأثير ماركسي قوي في أعماله، بل إنه يرى كتابه *The Constitution of Society* تأملًا ممتدًّا لمبدأ ماركس المتكامل بشكل متأصل: "الرجال يصنعون التاريخ، لكنهم لا يصنعونه حسب رغباتهم، ولا يصنعونه في ظروف من اختيارهم، بل في ظروف متوارثة من الماضي والتي يواجهونا بشكل مباشر" (ماركس 1963:15/1869).8

ونظرية ماركس ما هي إلا المُدخلات النظرية لنظرية البناء. في وقت أو آخر، قام جيدينز بتحليل ونقد معظم التوجهات النظرية الرئيسية، واستمد مجموعة من الأفكار الجيدة من العديد من هذه النظريات. نظرية البناء مثيرة جدًّا. وفي الواقع، حدد كريب (1992: 20 - 31) تسعة إسهامات فكرية رئيسية في تفكير جيدينز.

درس جيدينز مجموعة واسعة من النظريات التي تبدأ إما بالفرد/الفاعل (مثل التفاعلية الرمزية) أو بالمجتمع/البناء (مثل نظرية البنائية الوظيفية)، ورفض كلًّا من هذين البديلين المتناقضين. وبدلًا من هذا، جادل جيدينز بأننا يجب أن نبدأ "بممارسات اجتماعية متكررة" (252:1989). وقال مقدمًا بعض التفاصيل الإضافية: "وفقًا لنظرية البناء، المجال الأساسي لدراسة العلوم الاجتماعية ليس تجربة الفاعل الفردي، ولا وجود أي شكل من الشمول الاجتماعي، بل ممارسات اجتماعية مرتبة عبر الزمان والمكان" (جيدينز ويكمن في جوهر نظرية البناء لـ جيدينز وفي موضع تركيزها على الممارسات الاجتماعية، نظرية عن العلاقة بين صفة الفاعل والبنية. ووفقًا لـ ريتشارد جيه. برنشتاين: "إن جوهر الهدف من نظرية البناء هو توضيح الازدواج والتداخل الجدلي بين صفة الفاعل والبنية" (23:1989). ومن ثم لا يمكن النظر إلى صفة الفاعل والبنية على أنهما منفصلان عن بعضهما، بل إنهما وجهان لعملة واحدة. وعلى حد وصف جيدينز، إنهما ثنائية. كل الأفعال الاجتماعية تتضمن بنى، وكل البنى تتضمن أفعالًا اجتماعية. ومن ثم فإن صفة الفاعل والبنية تتشابكان بشكل معقد في الأنشطة أو الممارسات الإنسانية المستمرة.

وكما تم التوضيح سابقًا، كانت الممارسات الإنسانية هي نقطة البداية التحليلية لدى جيدينز، لكنه يصر على أن تُرى كممارسات تكرارية. بعبارة أخرى، هذه الأنشطة "لا تنشأ على يد فاعلين اجتماعيين، بل يتكرر حدوثها على نحو مستمر بواسطتهم عبر الوسائل التي يعبرون بها عن أنفسهم كفاعلين. وفي هذه الأنشطة ومن خلالها، يهيئ الفاعلون الظروف التي تجعل تنفيذ هذه الأنشطة ممكنًا" (جيدينز 2:1984). وهكذا، الأنشطة ليست نتاج الوعي، ولا البناء الاجتماعي للواقع، ولا البناء الاجتماعي، لكن عندما يعبر الناس عن أنفسهم كفاعلين، فإنهم ينخرطون في ممارسات، وعبر هذه الممارسات ينتج الوعي والبنية وفي ظل تركيزهما على الطبيعة التكرارية للبناء، يقول هيلد وطومسون: "ينتُج البناء في وعبر تتابع الممارسات القائمة التي ينظمها" (7:1989). ويمكن قول الشيء نفسه عن الوعي. يهتم جيدينز بالوعي أو الانعكاسية، لكن في الانعكاسية، لا يكون الفاعل الاجتماعي الإنساني واعيًا بذاته وحسب، لكنه ينخرط أيضًا في مراقبة التدفق المستمر للأنشطة والظروف البنيوية. ويجادل برنشتاين بأن: "صفة الفاعل نفسها متضمنة بشكل انعكاسي وتكرارًا في البنى الاجتماعية" (23:1989). وبوجه عام، يمكن القول إن جيدينز مهتم بعملية الجدل والتي يتم فيها إنتاج الممارسات والبناء والوعي. ومن ثم يتناول جيدينز مسألة صفة الفاعل والبنية بطريقة تاريخية وإجرائية وحيوية.

ليس الفاعلون الاجتماعيون هم فقط من يعدون انعكاسًا، بل كذلك الباحثون الاجتماعيون الذين يدرسونهم. وقد قادت هذه الفكرة جيدينز إلى أفكاره المعروفة حول "التأويل المزدوج". يَستخدم كل من الفاعلين الاجتماعيين وعلماء الاجتماع، اللغة. يستخدم الفاعلون الاجتماعيون اللغة لتبرير ما يفعلونه، ويستخدم علماء الاجتماع اللغة بدورهم في تبرير أفعال الفاعلين الاجتماعيين. ومن ثم نحن نحتاج إلى أن نهتم بالعلاقة بين لغة العوام واللغة العلمية. ونحتاج تحديدًا إلى إدراك حقيقة أن فهم العلماء الاجتماعيين للعالم الاجتماعي قد يؤثر على فهمهم للفاعلين الاجتماعيين محل الدراسة. وبهذه

الطريقة، يمكن للباحثين الاجتماعيين تحريف العالم الذي يدرسونه، ومن ثم التوصل إلى نتائج واستنتاجات مشوهة.

عناصر نظرية البناء. دعونا نناقش بعض العناصر الأساسية لنظرية البناء لـ جيدينز، بدءًا من أفكاره حول الفاعلين الذي - كما رأينا - يراقب عن وعي أفكارهم وأنشطتهم، وكذلك سياقاتهم المادية والاجتماعية. وفي بحثهم عن الإحساس بالأمان، يعقل الفاعلون عالمهم. ويعني جيدينز بالتبرير التحلي بعادات لا تمنح الفاعلين الاجتماعيين إحساسًا بالأمان وحسب، بل تمكنهم أيضًا من التعامل بفاعلية مع حياتهم الاجتماعية. يمتلك الفاعلون أيضًا محفزات للتصرف، وتتضمن هذه المحفزات احتياجات ورغبات تشجع على الأفعال. وهكذا، بينما تنخرط العقلانية والانعكاسية بشكل مستمر في الأفعال، فإنه يتم النظر إلى المحفزات بشكل أكثر ملاءمة على أنها احتمالات للقيام بأفعال. تقدم المحفزات خططًا عامة للأفعال، لكن معظم أفعالنا - في رأي جيدينز - لا يتم تحفيزها بشكل مباشر. رغم أنه لا يتم تحفيز هذه الأفعال، وأن محفزاتنا تقع في اللاوعي بوجه عام، فإن المحفزات تلعب دورًا مهمًّا في السلوك الإنساني.

وأيضًا في نطاق الوعي، يميز جيدينز(بشكل غير دقيق) بين الوعي الخطابي والوعي الفعلي. الوعي الخطابي يتضمن قدرتنا على وصف أفعالنا في شكل كلمات. أما الوعي الفعلي فيتضمن أفعالًا يعتبرها الفاعلون أمورًا مسلَّمًا بها، دون القدرة على التعبير عما يفعلونه بالكلمات. ويتمتع هذا النوع الثاني من الوعي بأهمية خاصة في نظرية البناء؛ إذ يعكس اهتمامًا رئيسيًّا بما يُفعل وليس بما يقال.

وفي ضوء تركيزنا على الوعي الفعلي، يمكننا القيام بتحول سلس من الفاعلين إلى صفة الفاعل، أي الأشياء التي يقوم بها الفاعلون بالفعل: "تهتم صفة الفاعل بالأحداث التي يكون الشخص هو المتسبب فيها ... أي شيء لم يكن ليحدث لولا تدخل الفرد" (جيدينز 9:1984). ومن ثم، يمنح جيدينز ثقلًا

كبيرًا (يقول النقاد إنه أكبر من اللازم) إلى أهمية صفة الفاعل (بابر 1991). بذل جيدينز جهدًا كبيرًا في فصل صفة الفاعل عن النوايا لأنه يريد إثبات أن الأفعال كثيرًا ما تختلف عما كان مقصودًا منها. بعبارة أخرى، كثيرًا ما تسفر الأفعال المتعمدة عن عواقب غير متعمدة. وتلعب فكرة العواقب غير المتعمدة دورًا كبيرًا في نظرية جيدينز، وتتمتع بأهمية خاصة في نقلنا من صفة الفاعل إلى مستوى النسق الاجتماعي.

وتماشيًا مع تأكيد صفة الفاعل، يمنح جيدينز الفاعل سلطة كبيرة. بعبارة أخرى، يمتلك الفاعلون لدى جيدينز القدرة على إحداث فارق في العالم الاجتماعي. وعلى نحو أكثر قوة، ليس من المنطقي أن يكون الفاعلون دون سلطة؛ لأن الفاعل سيتوقف عن كونه فاعلًا إذا فَقَد قدرته على إحداث فارق. وبالتأكيد يدرك جيدينز أن هناك قيودًا على الفاعلين، لكن هذا لا يعني أن الفاعلين ليست لديهم خيارات، ولا يحدثون فارقًا. بالنسبة إلى جيدينز، من المنطقي أن تأتي السلطة قبل الذاتية لأن الأفعال تقتضي سلطة، أو القدرة على تغيير الموقف. وهكذا، تمنح نظرية البناء لدى جيدينز السلطة إلى الفاعل والفعل، وتعارض النظريات التي لا تميل إلى هذا التوجه، وبدلًا من ذلك تمنح أهمية كبيرة إما إلى نية الفاعل الاجتماعي (علم الاجتماع الظاهراتي (الفينومينولوجي)) أو إلى البناء الخارجي (البنائية الوظيفية).

يكمن اللب التعريفي لنظرية البناء في الأفكار التالية: البناء، والنظام، وازدواج البناء. ويُعرف البناء بأنه "الخصائص البنيوية (المعايير والموارد) ... الخصائص التي تمكّن الممارسات الاجتماعية المتشابهة إلى حد كبير، من التواجد عبر أطر زمنية ومكانية متفاوتة، والتي تمنحها شكلًا منظمًا (جيدينز 17:1984). وينشأ البناء من خلال وجود المعايير والموارد. لا تتواجد البنى من تلقاء نفسها في المكان والزمان، بل تمتلك الظواهر الاجتماعية القدرة على أن تصبح بنيوية. يؤكد جيدينز أنه "لا يتواجد البناء إلا في وخلال أنشطة الفاعلين البشر" (256:1989). وهكذا يقدم جيدينز تعريفًا غير معتاد للبناء لا

يتبع نمط دوركايم المتمثل في رؤية البنى كأشياء تقع خارج نطاق قدرات الفاعلين، وهم مجبرون عليها. ويحاول جيدينز جاهدًا تجنب الانطباع بأن البناء يقع "خارج نطاق" و"بمعزل عن" الأفعال البشرية. "من واقع استخدامي، البناء هو ما يعطي شكلًا للحياة الاجتماعية، لكنه في حد ذاته ليس شكلًا وهيئة" (256). وعلى حد تعبير "هيلد" و"طومسون"، البناء بالنسبة لـ جيدينز ليس إطار عمل "أشبه بقوائم المبنى أو الهيكل العظمي للجسم" (4:1989).

لا ينكر جيدينز حقيقة أن البناء يمكن أن يفرض قيودًا على الأفعال، لكنه يشعر بأن علماء الاجتماع قد بالغوا في أهمية هذه القيود. علاوة على ذلك، لم يؤكد هؤلاء العلماء على حقيقة أن البناء "دائمًا ما يفرض قيودًا وكذلك يتيح إمكانات" (جيدينز 1984: 25، تمت إضافة الخط المائل). كثيرًا ما تسمح البنى للوكلاء بفعل أشياء لم يكونوا ليفعلوها بدونها. ورغم أن جيدينز يقلل من شأن القيد البنائي، فإنه يقر بأن الفاعلين يمكنهم أن يفقدوا الهيمنة على "الخصائص البنيوية للأنظمة الاجتماعية" بينما يقطعون شوطًا طويلًا زمانيًا ومكانيًا. ومع ذلك، فإن جيدينز حريص على تجنب صور القفص الذهبي لفيبر، ويذكر أن فقدان الهيمنة هذا ليس حتميًا.

إن الفهم الاجتماعي التقليدي للبناء أقرب إلى مفهوم جيدينز للنظام الاجتماعي (جي. طومسون 60:1989). ويعرّف جيدينز الأنظمة الاجتماعية بوصفها ممارسات اجتماعية مستنسخة، أو "علاقات مستنسخة بين الفاعلين أو الجماعات بوصفها ممارسات اجتماعية منتظمة" (17:1984، 25). وهكذا فإن فكرة النسق الاجتماعي مستمدة من اهتمام جيدينز الشديد بالممارسات. الأنظمة الاجتماعية ليست لها بنيات، لكنها تظهر خصائص بنيوية. والبنى لا تتواجد من تلقاء نفسها في الزمان والمكان، لكنها تظهر في الأنظمة الاجتماعية في شكل ممارسات مستنسخة. ورغم أن بعض الأنظمة الاجتماعية قد تكون نتاج أفعال متعمدة، لكن جيدينز يؤكد بشكل كبير حقيقة أن هذه الأنظمة غالبًا ما تكون عواقب غير متوقعة للأفعال الإنسانية.

وقد تصبح هذه العواقب غير المتوقعة ظروفًا غير منظمة للأفعال، وتعد تغذية راجعة لها. هذه الظروف قد تراوغ الجهود المبذولة للهيمنة عليها، لكن مع ذلك، يواصل الفاعلون جهودهم لممارسة هذه الهيمنة.

وهكذا، يتم "تمثيل" البنى في الأنظمة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تظهر أيضًا في "مسارات الذكريات التي توجه سلوك الفاعلين البشر واسعي الاطلاع" (جيدينز 17:1984). ونتيجة لذلك، تُظهر المعايير والموارد نفسها على كل من المستوى الكلي للأنظمة الاجتماعية، والمستوى الجزئي للوعي الإنساني.

نحن الآن مستعدون لمفهوم البنيوية، والقائم على فكرة أن "تكوين الفاعلين والبنى ليستا مجموعتين مستقلتين من الظواهر، لكنها يمثلان ثنائية ... إن الخصائص البنيوية للأنظمة الاجتماعية يمكن اعتبارها وسيلة ونتيجة للممارسات التي تنظمها بشكل متكرر"، أو "لحظة إنتاج الفعل هي أيضًا لحظة تناسخ في سياقات التنفيذ اليومي للحياة الاجتماعية" (جيدينز 26,25:1984). من الواضح أن البنيوية تتضمن علاقة الجدل بين البناء والفاعل (راشلين 1991). البنية وصفة الفاعل يمثلان ثنائية؛ إذ لا يمكن لإحداهما التواجد دون الأخرى.

وكما تمت الإشارة إليه بالفعل، الزمان والمكان متغيران حاسمان في نظرية جيدينز. ويعتمد كلاهما على ما إذا كان الآخرون حاضرين زمانيًّا أو مكانيًّا. والظرف الأساسي هو التفاعل وجهًا لوجه، وفيه يكون الآخرون حاضرين في الزمان والمكان نفسه. ومع ذلك، تمتد الأنظمة الاجتماعية زمانيًّا ومكانيًّا، ومن ثم ربما لا يعد الآخرون حاضرين. هذا الابتعاد من حيث الزمان والمكان أصبح ممكنًا بشكل متزايد في العالم الحديث من خلال أشكال جديدة من التواصل والمواصلات. يجادل جريجوري (1989) بأن جيدينز يهتم بالزمان أكثر من المكان. وفي سياق تشديده على أهمية المكان، يؤكد سوندرز الآتي:

"يحتاج أي تحليل اجتماعي لسبب وكيفية حدوث أشياء، إلى أن يضع في الاعتبار مكان (وزمن) حدوثها" (218:1989). وتعتمد المسألة الاجتماعية المركزية للنظام الاجتماعي على مدى جودة تكامل الأنظمة الاجتماعية عبر الزمان وعبر المكان. إن من أكثر إنجازات جيدينز المحتفى بها في النظرية الاجتماعية هي مساعيه نحو إبراز مسائل الزمان والمكان (براينت و جاري, 2001b).

سننهي هذا القسم بتقريب نظرية البناء المجردة جدًّا لـ جيدينز من الواقع عبر مناقشة برنامج الأبحاث الذي يمكن أن يُستمد منها (للاطلاع على نظرة عامة على الأبحاث التجريبية القائمة على نظرية البناء، انظر براينت و جاري 2001a). أولًا، بدلًا من التركيز على المجتمعات الإنسانية، تركز نظرية البناء على "ترتيبات المؤسسات عبر الزمان والمكان" (جيدينز 300:1989. يرى جيدينز المؤسسات على أنها عناقيد من الممارسات، ويحدد أربعة منها: الأنظمة الرمزية، والمؤسسات السياسية، والمؤسسات الاقتصادية، والقانون). ثانيًا، سيكون هناك تركيز شديد على التغيرات في المؤسسات على امتداد الزمان والمكان. ثالثًا، سيحتاج الباحثون إلى إرهاف الوعي تجاه الطرق التي يتدخل بها قادة المؤسسات المختلفة عنوة ويعدلون الأنماط الاجتماعية. رابعًا، سيحتاج متبعو نهج نظرية البنيوية إلى مراقبة - وإرهاف الوعي بشأن - تأثير نتائجهم على العالم الاجتماعي. وبوجه عام، يهتم جيدينز اهتمامًا عميقًا "بالتأثير المدمر للحداثة" (301:1989)، وعلى متبع نهج نظرية البناء أن يهتم بدراسة هذه المشكلة الاجتماعية المُلحّة.

الفصل التاسع :
نظريات تجاوز الثنائيات (بيير بورديو)

العادة والحقل.تستمد نظرية بيير بورديو (483:1984a. كالهون 2011) زخمها من الرغبة في دحض ما اعتبره بورديو تعارضًا زائفًا بين الموضوعية والذاتية، أو على حسب تعبيره "التعارض العبثي بين الفرد والمجتمع" (بورديو 31:1990). وكما يقول: "إن الهدف الأكثر رسوخًا (والأكثر أهمية في رأيه) الذي يقود عملي هو التغلب على التعارض بين الموضوعية والذاتية" (15:1989).

وقد وضع بورديو دوركايم، ودراسته للجوانب الاجتماعية (انظر الفصل 1)، وبنيوية سوسيير، وليفي شتراوس، والماركسيين البنيويين (انظر الفصل 13) في معسكر الموضوعيين. وتُنتقد هذه الرؤى لتركيزها على البنى الموضوعية، وتجاهلها عملية البناء الاجتماعي التي من خلالها يرى الفاعلون هذه البنى ويفكرون فيها ويشيدونها، ومن ثم يمضون للتصرف على هذا الأساس. يتجاهل الموضوعيون صفة الفاعل والفاعل، بينما فضل بورديو موقفًا بنيويًّا، لكن مع إغفال الفاعل. "هدفي هو إعادة الفاعلين الحقيقيين الذين تلاشوا على أيدي ليفي شتراوس وبنيويين آخرين، وبالأخص ألتوسير" (بورديو، كما نقل عنه جنكينز 18:1992).

هذا الهدف دفع بورديو (1980/42:1990) في اتجاه الموقف المتبني للذاتية، وهو موقف كانت تهيمن عليه وجودية سارتر عندما كان بورديو طالبًا. بالإضافة إلى هذا، يُعتقد أن علم الاجتماع الظاهراتي (الفينومينولوجي) لـ"شوتز"، ونظرية التفاعلية الرمزية لـ بلومر، والإثنوميثودولوجي لـ جارفينكل، هي أمثلة على الذاتية؛ حيث إنها تركز على الطريقة التي يقوم من خلالها الفاعلون في التفكير في أو تبرير أو تمثيل العالم الاجتماعي بينما يتجاهل البنى الاجتماعية التي توجد فيها هذه الأشياء. رأى بورديو أن هذه النظريات تركز على الفاعلية، وتتجاهل البناء.

وبدلًا من هذا، ركز بورديو على علاقة الجدل بين البنى الموضوعية والظواهر الذاتية:

من أجل تحاشي معضلة الموضوعية - الذاتية، ركز "بورديو" (3:1977) على الممارسة، والتي رأى أنها نتيجة علاقة الجدل بين البنائية والسلطة. الممارسات لا تتحد بشكل موضوعي، ولا هي نتاج الإرادة الحرة. (هناك سبب آخر لتركيز بورديو على الممارسات، وهو أن هذا المسعى يتجنب المذهب العقلاني الذي عادة ما يكون غير ذي صلة، والذي ربطه بورديو بالموضوعية والذاتية).

وانعكاسًا لاهتمامه بعلاقة الجدل بين البناء والطريقة التي ينشئ بها الناس الواقع الاجتماعي، أطلق بورديو على توجهه البنيوية الإنشائية، أو الإنشائية البنيوية، أو البنيوية التكوينية. فيما يلي الطريقة التي عرف بها بورديو البنيوية التكوينية:

لا يمكن فصل تحليل البنى الموضوعية من مختلف الحقول، عن تحليل تكوين - داخل الأفراد البيولوجيين - البنى الذهنية والتي تعد إلى حد ما نتاج دمج البنى الاجتماعية، والتي لا يمكن فصلها هي الأخرى عن تحليل تكوين هذه البنى الاجتماعية نفسها: الحيز الاجتماعي، وذلك المتعلق بالمجموعات التي تشغلها، هما نتاج الصراعات التاريخية (والتي يشارك فيها الفاعلون بما يتوافق مع وضعها في الحيز الاجتماعي، ومع البنى الذهنية التي تفهم من خلالها هذا الحيز). (14:1990).

يؤيد "بورديو" - على الأقل جزئيًا - منظورًا بنيويًّا، لكنه يختلف عن بنيوية سوسيير وليفي شتراوس (بالإضافة إلى الماركسيين البنيويين). فبينما ركز هؤلاء تباعًا على البنى في اللغة والثقافة، قال بورديو إن البنى توجد أيضًا في العالم الاجتماعي نفسه. ورأى بورديو أن البنى الموضوعية مستقلة عن وعي وإرادة الفاعلين، وهم القادرون على إرشاد وتقييد ممارساتهم أو تمثلاتهم (14:1989). وقد تبنَّى بورديو في الوقت نفسه موقفًا إنشائيًّا أتاح له التعامل مع تكوين مخططات الإدراك والفكر والفعل، بالإضافة إلى البنى الاجتماعية.

لكن هناك فاعلًا ديناميكيًا في نظرية بورديو، وهو فاعل قادر على "الاختراع غير العمدي للارتجال المنتظم" (79:1977). إن جوهر أعمال بورديو، وجوهر سعيه للربط بين الذاتية والموضوعية، يكمن في مفهومي العادة والحقل (ألدريدج 1998)، وكذلك في علاقات الجدل ببعضهما (سوارتز 1997). بينما يوجد التطبع في عقول الفاعلين، يوجد الحقل خارج عقولهم. وسنتناول هذين المفهومين بمزيد من التفصيل في الصفحات القليلة التالية.

التطبع. سنبدأ بأكثر مفهوم يشتهر به بورديو وهو التطبع جنكينز10 (2005b). التطبع هو "البنى الذهنية أو المعرفية" التي يتعامل الناس من خلالها مع العالم الاجتماعي. لقد وهِب الناس سلسلة من المخططات الداخلية التي من خلالها يدركون ويفهمون ويقدرون ويقيمون العالم الاجتماعي. وعبر هذه المخططات ينتج الناس هذه الممارسات، ويفهمونها، ويقيمونها. وعلى نحو جدلي، التطبع هو "نتاج الاستبطان الداخلي لبنى" العالم الاجتماعي (بورديو 18:1989). في الواقع، يمكننا النظر إلى التطبع بوصفه "بنى اجتماعية داخلية ‘مجسدة’"

(بورديو 468:1984a). إنها شيء أشبه بـ "منطق سليم" (هولتون 2000). وتعكس انقسامات موضوعية للبناء الطبقي، مثل الفئات العمرية، والنوع الاجتماعي، والطبقات الاجتماعية. ويُكتسب التطبع نتيجة شغل المرء لموضع طويل الأمد داخل العالم الاجتماعي. من ثم يختلف التطبع بناء على طبيعة موضع الشخص في العالم؛ ومن ثم لا يتمتع الجميع بالتطبع نفسه. ومع ذلك، يميل من يشغلون الموضع نفسه داخل العالم الاجتماعي للتمتع بالتطبع نفسه (إنصافًا لبورديو، ينبغي القول إنه أدلى بتصريحات مثل أن عمله يسترشد "بالرغبة في إعادة التعريف ممارسات الفاعل، وقدرته على الابتكار والارتجال" [بورديو 13:1990]). وبهذا المعنى، يمكن للتطبع أن يكون أيضًا ظاهرة جماعية. يتيح التطبع للأفراد فهم العالم الاجتماعي، لكن وجود أشكال عديدة من التطبع يعني أن العالم الاجتماعي وبنيه لا تفرض نفسها بشكل موحد على جميع الفاعلين.

لقد تم تكوين التطبع الموجود في أي وقت عبر مسار التاريخ الجمعي: "ينتج التطبع - نتاج التاريخ - ممارسات فردية وجماعية، ومن ثم التاريخ، وفقًا للمخططات التي ولدها التاريخ" (بورديو 1977 :82). ويُكتسب التطبع المتمثل في أي فرد عبر مسار تاريخ الفرد، وهو وظيفة مرحلة معينة في التاريخ الاجتماعي الذي يحدث فيه. ويعد التطبع دائمًا وقابلًا للتحول أيضًا، بمعنى أنه يمكن تحويله من حقل لآخر. ومع ذلك، من الممكن أن يمتلك الناس تطبعًا غير ملائم، وأن يعانوا ما وصفه "بورديو" بالتلكؤ. ومن الأمثلة الجيدة على هذا الشخص القادم من أصول زراعية في مجتمع معاصر فيما قبل الرأسمالية، ويعمل في وول ستريت. التطبع المطلوب في مجتمعات ما قبل الرأسمالية لن يسمح لهذا الشخص بالانسجام جيدًا مع العيش في وول ستريت.

التطبع يُنتج العالم الاجتماعي ويَنتج عنه. فمن ناحية، التطبع هو "بناء بنيوي"، بمعنى أنه بناء يبني العالم الاجتماعي. ومن ناحية أخرى، هو "بناء مبني"، بمعنى أنه بناء يبنيه العالم الاجتماعي. بعبارة أخرى، يصف بورديو التطبع باعتباره "جدلية تدخيل العوامل الخارجية وتخريج العوامل الداخلية". (72:1977). وهكذا سمح التطبع لـ بودريو بالهروب من الاضطرار إلى المفاضلة بين الذاتية والموضوعية، ومن "الهروب من فلسفة الذاتية دون الاستغناء عن الفاعل... وكذلك الهروب من فلسفة البناء دون أن ينسى أن يأخذ في الاعتبار الآثار التي تحدثها على الفاعل ومن خلاله" (بورديو و وتتوسط الممارسة بين التطبع والعالم الاجتماعي. فمن ناحية، نشأ التطبع عبر الممارسة، ومن ناحية أخرى، نشأ العالم الاجتماعي نتيجة الممارسة. وقد عبر "بورديو" عن وظيفة الوساطة للممارسة عندما عرّف التطبع بأنه "نظام المواضع البنيوية والمبنية، والتي تشكلها الممارسة باستمرار، وتهدف باستمرار إلى الوظائف العملية". (ذكر ذلك في عمل فاكونت 42:1989. انظر أيضًا بورديو 72:1977). ورغم أن الممارسة عادة ما تشكل التطبع، فإن التطبع يعمل بدوره على توحيد الممارسة وتوليدها.

ورغم أن التطبع بناء داخلي يقيد الفكر واختيار الأفعال، لكنه لا يملي هذه الأشياء على الفرد (مايلز 1999). هذا الغياب للحتمية هو أحد الأشياء الأساسية التي تميز موقف بورديو عن المذهب البنيوي الشائع. فالتطبع "يقترح" فقط ما يجب على الأفراد التفكير فيه وما يجب عليهم فعله. يتدبر الناس الاختيارات بشكل واعٍ، رغم أن عملية التفكير هذه تعكس آلية التطبع. يقدم التطبع المبادئ التي من خلالها يتخذ الناس الخيارات، وينتقون الإستراتيجيات التي سيوظفونها في العالم الاجتماعي. وعلى حد التعبير المثير لـ بورديو و فاكونت: "الناس ليسوا حمقى". لكن الناس ليسوا عقلانيين بشكل كامل أيضًا(كان بورديو يرفض نظرية الاختيار العقلاني)، بل يتصرفون بأسلوب "منطقي"؛ فهم يمتلكون منطقًا عمليًا؛ وهو "منطق الممارسة" يعمل التطبع "تحت مستوى الوعي واللغة، وخارج نطاق التدقيق الاستبطاني وهيمنة الإرادة" (بورديو 466: 1984a). رغم أننا لا نعي التطبع وآلياته، لكنه يُظهر نفسه في أكثر نشاطاتنا عملية، مثل الطريقة التي نأكل بها، ونمشي بها، ونتحدث بها، بل وحتى طريقة تمخطنا. ويعمل التطبع كبناء، لكن الناس لا يستجيبون تلقائيًا له، ولا إلى البنى الخارجية التي تؤثر فيهم. ومن ثم، في منهج بورديو، نحن نتجنب الأفكار المتطرفة في الأمور الحديثة غير المتوقعة والحتمية الكاملة.

الحقل. سننتقل الآن إلى "الحقل"، والذي درسه بورديو بشكل علائقي وليس بنيويًا. الحقل هو شبكة من العلاقات بين المواضع الموضوعية بداخله. (بورديو و فاكونت 97:1992). وتوجد هذه العلاقات بمعزل عن وعي الفرد وإرادته؛ فهي ليست تفاعلات أو روابط ذاتية بينية بين الأفراد. وقد يكون شاغلو هذه المواضع إما وكلاء أو مؤسسات، وهم مقيدون ببناء الحقل. هناك عدد من الحقول شبه المستقلة في العالم الاجتماعي (مثل التعليم الفني [بورديو و داربل 1969/1990. فاولر 1997] والتعليم الديني، والتعليم العالي)، وتحتوي جميعها على منطقها المحدد الخاص بها، وجميعها تولّد بين الفاعلين اعتقادًا بشأن الأشياء التي في خطر في الحقل.

رأى بورديو الحقل على أنه ساحة معركة: "الحقل هو أيضًا حقل صراع" (بورديو وفاكونت 101:1992). إن بناء الحقل هو الذي "يدعم ويرشد الإستراتيجيات التي يسعى من خلالها شاغلو هذه المواضع - فرادى وجماعات - إلى حماية مواضعهم وتحسينها" (فاكونت نقلًا عن بورديو 40:1989). الحقل عبارة عن سوق تنافسية يتم فيها توظيف ونشر الأنواع المختلفة لرأس المال (الاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي، والرمزي). لكن حقل السلطة (الساسية) هو الذي يتمتع بالأهمية الكبرى؛ إذ إن التدرج في علاقات السلطة داخل الحقل السياسي يؤثر في بناء سائر الحقول الأخرى.

وضع بورديو عملية من ثلاث خطوات لتحليل أي حقل. الخطوة الأولى - والتي تعكس أولوية حقل السلطة - هي تعقب علاقة أي حقل محدد بالحقل السياسي. الخطوة الثانية هي تخطيط البناء الموضوعي للعلاقات بين المواضع داخل هذا الحقل. وأخيرًا، يجب على المحلل أن يسعى إلى تحديد طبيعة تطبع الأشخاص الفاعلين الذين يشغلون الأنواع المختلفة من المواضع داخل الحقل.

تُحدد مناصب الفاعلين المختلفين في الحقل بمقدار رأس المال الذي يمتلكونه وثقلهم النسبي (أنهير، وجيرهاردس، وورومو 1995). وقد استخدم بورديو حتى الصورة العسكرية لوصف الحقل، واصفًا إياه بأنه ساحة "المواضع الإستراتيجية. هناك حصون يُدافع عنها ويتم الاستيلاء عليها في مجالات الصراعات" (244:1984a). ورأس المال هو ما يتيح للشخص الهيمنة على مصيره ومصائر الآخرين (للاطلاع على الجوانب السلبية لرأس المال، انظر بورتس و لاندولت 1996). كان "بورديو" عادة ما يناقش الأنواع الأربعة لرأس المال (للاطلاع على مناقشة حول صيغة مختلفة قليلًا لأنواع رأس المال المطبقة على تكوين الدولة، انظر بورديو 1994). هذه الفكرة مستمدة بالطبع من المجال الاقتصادي (جيلوري 32:2000)، ومعنى رأس المال الاقتصادي واضح. رأس المال الثقافي "يشمل معرفة وسهولة استخدام

الأشكال الثقافية التي تحمل طابعًا مؤسسيًّا (مثل: عبر الجامعة) في قمة التدرج الثقافي للمجتمع" (ديماجيو 167:2005). ويتكون رأس المال الاجتماعي من علاقات اجتماعية قيمة بين الأفراد. وينبع رأس المال الرمزي من شرف المرء وهيبته.

يوظف شاغلو المواضع داخل الحقل مجموعة متنوعة من الإستراتيجيات. وتُظهر هذه الفكرة - مرة أخرى - أن الفاعلين لدى بورديو لديهم على الأقل

بعض الحرية: "التطبع لا ينفي إمكانية الحساب الإستراتيجي من جانب الأشخاص الفاعلين" (بورديو 5:1993. تمت إضافة الخط المائل). ومع ذلك، قد لا تشير الإستراتيجية إلى:

السعي الهادف والمخطط مسبقًا لأهداف محسوبة ... بل إلى النشر النشط "لخطوط الفعل" الموجهة بشكل موضعي، والتي تخضع لأنظمة، وتشكل أنماطًا متماسكة وواضحة اجتماعيًّا، حتى إن كانت لا تتبع المعايير الموضوعة بوعي، أو لا تسعى إلى تحقيق الأهداف التي حددها صاحب الإستراتيجية عن قصد (فاكونت 25:1992).

ومن خلال الإستراتيجيات "يسعى شاغلو هذه المواضع - فرادى أو جماعات - إلى حماية أو تحسين موضعهم، وإلى فرض مبدأ التسلسل الهرمي الأكثر حظوة لديهم على منتجاتهم. وتعتمد إستراتيجيات الفاعلين على مواضعهم في الحقل" (بورديو و فاكونت 101:1992).

كان بورديو يرى الدولة باعتبارها موقعًا للصراع على احتكار ما سماه العنف الرمزي. وهذا نوع "ناعم" من العنف - "العنف الذي يُمارس على فاعل اجتماعي برضاه" (بورديو و فاكونت 167:1992). ويُمارس العنف الرمزي بشكل غير مباشر، ويتم بشكل كبير عبر الآليات الثقافية، ويتناقض مع الأشكال الأكثر مباشرة من التحكم الاجتماعي الذي عادة ما يركز عليه علماء الاجتماع. ويعد النظام التعليمي أكبر كيان يُمارس من خلاله العنف الرمزي على الناس (بورديو و باسيرون 1970/ 1990. للاطلاع على تطبيق لفكرة

العنف الرمزي على مكانة النساء، انظر كرايس 1993). إن لغة من في السلطة ومعانيهم ونظامهم الرمزي تُفرض على بقية السكان. وهذا يسهم في دعم مركز هؤلاء المتحكمين بالسلطة من خلال أشياء، منها حجب ما يفعلونه عن بقية المجتمع، ودفع "من يخضعون لهيمنتهم إلى تقبل شروط هيمنتهم كشيء مشروع" (سوارتز 89:1997). وبوجه عام، رأى بورديو النظام التعليمي بأنه منخرط في إنتاج السلطة الحالية والعلاقات بين الطبقات. يتضح الجانب السياسي لـ"بورديو" على أكمل وجه في فكرته عن العنف الرمزي. بعبارة أخرى، كان بورديو مهتمًّا بتحرير الناس من هذا العنف، وبوجه عام من الهيمنة الطبقية والسياسية (بوستون، وليبوما، وكالهون 6:1993). لكن بورديو لم يكن طوباويًّا ساذجًا، وربما يكون الوصف الأنسب لموقفه هو "الطوباوية العقلانية" (بورديو و فاكونت 197:1992).

وفي تأكيده لأهمية كل من العادة والحقل، رفض بورديو الانقسام بين الفردانيين المنهجيين والكليين المنهجيين، وتبنَّى موقفًا سُمي العلائقية المنهجية (ريتزر و جيندوف 1992). وهذا يعني أن "بورديو" كان مهتمًّا اهتمامًا شديدًا بالعلاقة بين العادة والحقل.

وقد رأى أن هذه العلاقة تسير بطريقتين رئيسيتين. من ناحية، الحقل يهيئ التطبع، ومن ناحية أخرى، التطبع يشكل الحقل باعتباره شيئًا ذا معنى وحس وقيمة، ويستحق أن يُبذل فيه جهد.

تطبيق العادة والحقل. لم يكتفِ بورديو بالسعي إلى ابتكار نظام نظري مجرد، بل ربطه أيضًا بسلسلة من الاهتمامات التجريبية، ومن ثم تجنب الوقوع في فخ التوجه الفكري المحض. وسنوضح تطبيق منهجه النظري في دراسته التجريبية بعنوان *Distinction* (1984a)، التي تفسر التفضيلات الجمالية لمجموعات مختلفة في جميع أنحاء المجتمع (للاطلاع على تطبيق آخر انظر Homa Academicus [بورديو 1984b]).

Distinction. في هذا العمل، حاول بورديو - من بين آخرين - إثبات أنه يمكن للثقافة أن تكون هدفًا مشروعًا للدراسات العلمية.11 وقد حاول إعادة دمج الثقافة "بمعناها الأسمى" (مثل تفضيلات الموسيقى الكلاسيكية) مع المعنى

الأنثروبولوجي للثقافة الذي يتناول جميع أشكالها، الراقي منها والدنيء. وبشكل أكثر تحديدًا، ربط بورديو في هذا العمل مذاق الأهداف المصقلة بمذاق نكهة أبسط الأطعمة.

ونظرًا للثوابت البنيوية، ولا سيما الحقل والتطبع، تشكل التفضيلات الثقافية للمجموعات المتنوعة داخل المجتمع (ولا سيما الطبقات وأجزاء الطبقات) أنظمة متماسكة. كان بورديو مهتمًا اهتمامًا شديدًا بالتنويعات في "الذوق" الجمالي، والنزعة المكتسبة للتفريق بين الأهداف الثقافية المتنوعة للاستمتاع الجمالي، ولتثمينها بشكل مختلف. الذوق هو أيضًا ممارسة تسهم في أشياء، منها منح الفرد إحساسًا بمكانته في النسق الاجتماعي. ويعمل الذوق على توحيد الأشخاص أصحاب التفضيلات المتشابهة، وعلى تمييزهم عن أصحاب الأذواق المختلفة. بعبارة أخرى، من خلال التطبيقات العملية للأذواق وتأثيرها، يصنف الناس الأشياء، وفي أثناء هذا، يصنفون أنفسهم؛ فنحن نستطيع تصنيف الناس عبر الأذواق التي يظهرونها. على سبيل المثال، من خلال تفضيلهم أنواعًا مختلفة من الموسيقى أو الأفلام. يجب أن تُرى هذه الممارسات - مثل سائر الممارسات الأخرى - في سياق كل العلاقات المتبادلة، أو بعبارة أخرى، ضمن المحيط الكامل. وهكذا فإن الأذواق في الموسيقى والأفلام، والتي تبدو منفصلة، ترتبط بالتفضيلات في الأطعمة والرياضة وقصَّات الشعر.

تتضمن دراسة بورديو للأذواق حقلين متداخلين، وهما العلاقات بين الطبقات (خصوصًا داخل أجزاء الطبقة المهيمنة) والعلاقات الثقافية (للاطلاع على مقالة نقدية لهذا التمييز، انظر إريكسون 1996). وقد رأى بورديو هذين الحقلين سلسلة من المواقف التي تُمارس فيها سلسلة من "الألعاب". ويحكم الأفعال التي يقوم بها الأشخاص الفاعلون (فرادى أو جماعات) الذين يشغلون مواضع محددة، بناء الحقل، وطبيعة المواضع، والاهتمامات المرتبطة بها. ومع ذلك، الأمر أيضًا عبارة عن لعبة تتضمن التمركز الذاتي واستخدام

مجموعة واسعة من الإستراتيجيات التي تسمح للفرد بالتفوق في اللعبة. التذوق هو فرصة لتجربة الفرد لموضعه وتأكيده له داخل الحقل، لكن حقل الطبقة الاجتماعية له تأثير عميق على قدرة المرء على ممارسة هذه اللعبة، فأصحاب الطبقات العليا أكثر قدرة بكثير على حمل الآخرين على قبول أذواقهم، ومعارضة أذواق الطبقات الأدنى. وهكذا، فإن عالم الأعمال الثقافية يرتبط بالعالم المتدرج للطبقات الاجتماعية، وهو في حد ذاته متدرج وباعث على التدرج.

وغنيٌّ عن القول أن بورديو أيضًا ربط الذوق بمفهومه الرئيسي الآخر؛ التطبع. تتشكل الأذواق بفعل هذه النزعات طويلة المدى، والمتجذرة بعمق أكثر بكثير من تشكلها بفعل التعبيرات اللفظية والآراء السطحية. حتى تفضيلات الناس للأوجه العادية من الثقافة مثل الملابس والأثاث والطهي، يشكلها التطبع. وفي هذه النزعات "يتم التخلي عن الوحدة الواعية للطبقة" (بورديو 1984a: 77). وقد صاغ بورديو هذا بشكل أكثر بهرجة لاحقًا، حيث قال: "الذوق بمثابة وسيط الزواج ... فمن خلاله يؤكد التطبع انسجامه مع تطبع آخرين" (243). وعلى نحو جدلي بالطبع، بناء الطبقة هو ما يحدد التطبع.

وفي حين أن الحقل والتطبع يحتلان أهمية عند بورديو، فإن علاقة الجدل بينهما تحتل الأهمية الكبرى لديه؛ فالحقل والتطبع يعرّف كل منها الآخر بشكل متبادل:

النزعات المكونة للتطبع المصقول لا تتشكل ولا تعمل ولا تحدث تأثيرًا إلا في حقل، في العلاقة مع حقل...والذي يكون في حد ذاته "حقلًا من القوى الممكنة"، أي موقفًا "ديناميكيًّا" لا تظهر فيه القوى إلا في علاقتها مع نزعات معينة. ولهذا السبب قد تتلقى الممارسات نفسها معاني وقيمًا متعارضة في حقول مختلفة، أو في ترتيبات مختلفة، أو في قطاعات متعارضة من الحقل نفسه. (بورديو 1984a: 94. تمت إضافة الخط المائل)

الفصل العاشر
نظرية ما بعد الاستعمارية

تمهيد

تعود جذور النظرية ما بعد الاستعمارية التي يطلق عليها في الكتابات العربية ما بعد الكولونيالية Postcolonialism إلى خمسينيات القرن العشرين من خلال أعمال مجموعة من الكتاب والمنظرين يأتي على رأسهم فرانز فانون Frantz Fanon (طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي أسود من جزر المارتينيك في البحر الكاريبي، حيث كانت مستعمرة فرنسية) من خلال كتابه "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" عام 1952 وكتابه الثاني المعذبون في الأرض عام 1961، ومجموعة أخرى من الكتاب مثل جورج لامينج George Lamming وكتابه "متع المنفي" 1960وألبيرت ميمي Albert Memmi وكتاب "صورة المستعمر" 1957 وتبلورت أفكارها في أواخر السبعينيات (مديحة بنت على عتيق، 2015 ، ص ص 229–231) ويرى البعض أن ثمة فارق بين ما بعد الاستعمارية، والاستعمارية الجديدة Neocolonialism (التي تعد الشكل الآخر للإمبريالية، حيث تتدخل القوي الاقتصادية سياسياً واقتصادياً في شئون الدول بعد استقلالها) الذي صاغه كوامي نكروما الرئيس الأول لغانا، حيث تشير ما بعد الاستعمارية كمصطلح سياسي إلى وضع الدول المستقلة حديثاً، ثم دخل مجال النظرية النقدية ليصف كل دولة أو ثقافة تأثرت بالتجربة الاستعمارية منذ لحظة الاستعمار إلى الآن. أما مصطلح الاستعمارية الجديدة فقد قصد به كوامي نكروما بأن الدول التي حازت على استقلالها مازالت تتأثر بالقوى السياسية الجديدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية (Eyrice Elem,2012,p2).

انطوى فكر ما بعد الاستعمارية على بعدين: أحدهما أيديولوجي يركز على النظرية النقدية المرتبطة بالخبرة الاستعمارية من وجهة نظر المجتمع المستعَمر، والأخر دلالي يركز على أي شيء يهتم بالثقافة الوطنية بعد رحيل القوى الاستعمارية، ومن العناصر الأساسية التي تركز عليها الدراسات ما بعد استعمارية اللغة والتاريخ والذات والآخر(Datta G. Sawant,2011)، طرحت نظرية ما بعد الاستعمار إشكاليات تتعرض لعلاقة الأنا بالآخر أو بمعني أحرى علاقة الشرق بالغرب متمثلة في علاقة الهامش بالمحور، ومن خلال علاقة الأنا بالآخر طرحت مجموعة من الإشكاليات المتصلة بعلم الاجتماع.

يري البعض أن النظرية ما بعد الاستعمارية أفادت من مقولات التفكيك وما بعد الحداثة وانقلبت عليها في آن واحد، فقد أفادت منها حينما عمدت على فضح الأيديولوجيات الغربية وتقويض مقولاتها المركزية على شاكلة منهجية التقويض/ التفكيك لتعرية الثقافة الغربية ونسف أسسها الميتافيزيقية والبنيوية عل حد سواء، وانقلبت عليها من خلال تهميش الثقافة الغربية (نايجل سي ز غبسون ،2013، ص 173).

وعند تناولنا للنظرية ما بعد الاستعمارية فإننا سنركز على كاتبين/ مفكرين من منظري ما بعد الاستعمارية يتشبهان في الخلفية المعرفية وهما: فرانز فانون الذي ترك بلده المستعَمرة متجها إلى فرنسا المستعِمرِة، وإدوارد سعيد الذي ترك بلده فلسطين المُحتلة متجها إلى الولايات المتحدة داعمة المحتل (إسرائيل) مقدمان كتاباتهما المتنوعة يحاربان من خلالها الفكر الاستعماري وإن اختلفا في إلية تناول القضايا الاستعمارية.

ما بعد الاستعمارية فرانز فانون (التحرر من خلال القوة).

جاءت أفكار فرانز فانون (1925–1961) التحررية مرتبطة بالعنف وذلك وفقا للخلفية التي نشأ فيها فقد عاني في بلده شعور المذلة والهوان من وجود الاستعمار الفرنسي، مما جعله يحقد على الاستعمار في العالم كله، جاء إلى فرنسا طالبا فدرس الطب في مدينة ليون، وتخرج طبيبا نفسيا وعمل بالجزائر وهناك تعمق شعوره الثوري وعرف من مرضاه ان الاستعمار يشوه الطبيعة الإنسانية (فرانز فانون،2004)، وفي عام 1957 قدم فانون استقالته من منصبه كرئيس لمستشفى الأمراض العقلية وانضم للثائرين الجزائريين، ومثّل الثورة الجزائرية في كثير من المؤتمرات الدولية كرئيس لوفودها ، ومن خلال الخطاب الذي ألقاه في مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية بمدينة أكرا عبر عن إيمانه بأن العنف هو السبيل الوحيد الذي يجب أن يسلكه المستعمَرون للتحرر من السادة المضطهدين المستغلين الذين يتشدقون بالكلام عن الحرية وعن الإنسان هم يذبحونهما حيثما وجدوا، وقد حارب بجسده وقلمه مع الجزائريين ثم ترك الحرب الجسدية واكتفي بالكتابة عقب تعرضه لمرض سرطان الدم حيث أنهي كتابه المعذبون في الأرض (فرانز فانون، 2015ص ص9–11).

يري فانون إن انبثاق الأمة الجديدة، وتدمير النظم الاستعمارية إما ثمرة عنف يقوم به الشعب المستعمَر، وإما ثمرة العنف الذي تقوم به شعوب أخري مستعمرة حيث يتم الضغط على النظام الاستعماري (فرانز فانون، 2015ص 65) ومن ثم فأن مشاركة فانون في حرب الجزائر جسدياً، وفكرياً تنبع عن ايمانه بأنه في نهاية المطاف سيتم القضاء على الاستعمار بفقدانه لرقعة من الأرض تلو اخري حتى يتم التخلص منه تماماً.

ويري فانون " أن وجود الكفاح المسلح يشير إلى أن الشعب قد قرر إلا يثق إلا بالوسائل العنيفة،

فاستخدام القوة من قبل المستعمر مع الشعوب المستعمرة بحجة أنهم لا يفهمون غير لغة القوة، كان دافعاً للشعوب المستعمرة لتعبر عن نفسها بلغة القوة، والحق أن المستعمِر قد دله منذ زمن طويل على الطريق التي يجب أن يسلكه إذا أراد أن يتحرر (فرانز فانون، 2015ص 76).

وفي ختام كتابه يقرر فانون إنه انقضت قروناً وأوربا تحجم تقدم البشر الآخرين، وتستعبدهم لتحقيق أهدافها وامجادها، فلقد انقضت قرون وهي تخنق الإنسانية تقريبا باسم "مغامرة روحية" مزعومة، فأوربا التي لم تنقطع لحظة عن الادعاء بأنها تهتم بالإنسان، نحن نعلم اليوم كم قاست الإنسانية من آلام ثمنا لكل نصر من انتصار روحها (فرانز فانون، 2015ص 251).

ب. إدوارد سعيد: التحرر من الاستشراق إلى الامبريالية الثقافية.

يتطلب تحليل فكر إدوارد سعيد (1935–2003) استقراء المنعطفات الابستمولوجية والأنطولوجية لفكره، والتي قدمها من خلال كتابه خارج المكان الذي يعد ترجمة لرحلة حياته قدمها بوصفها سيرته الذاتية عقب ما تعرض له من انتقادات بوصفه لا ينتمي إلى فلسطين من حيث النشأة والمولد من قبل صحفي صهيوني.

ولد إدوارد سعيد في القدس عام 1935 لأسرة عربية مسيحية في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الحكم البريطاني، ولكنه قضى معظم سنوات صباه مع أسرته ما بين مصر ولبنان، ولقد ادى انشاء دولة اسرائيل إلى مغادرته لفلسطين تماماً لبقية حياته، ودرس في المرحلة الثانوية والجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية (Syed Alatas,2009 p3997) حتى حصل على ماجستير الآداب سنة 1960 ثم الدكتوراة في اللغة الإنجليزية والأدب المقارن سنة 1964 من جامعة هارفرد، وأصبح استاذاً بجامعة كولومبيا عام 1992(إدوارد سعيد، 2008).

وكان لسعيد العديد من الخلافات السياسية مع القادة العرب والإسرائيليين فيما يتصل بوجهه نظره حيال المسألة الفلسطينية الإسرائيلية والسلام حيث يري إقامة دولة واحدة تضم الشعبين، ووجهه نظره قائمة على ضيق المساحة وتشابك العلاقات بين المواطنين، ونظرا لموقفه هذا لم يتم تداول كتبه في العديد من الدول العربية باستثناء مصر ولبنان.

عقب إطلاق إدوارد سعيد لكتابة الاستشراق عام 1978 الذي يري فيه سعيد أن تصوير الغرب للشرق كان مبنيا على مصالح السيطرة (إدواردسعيد،2008 ص 262) أصبح مفهوم الاستشراق من المفاهيم الرئيسية في النظرية ما بعد الاستعمارية التي يقابلها مفهوم الشرق، كما أنها تفكك بني وعمليات ووسائل الآخر، وذلك من خلال استخدام المؤسسات الاجتماعية والإعلام والسينما والفنون ولتهميش لصورة الآخر وطمس هويته (Burney, S. 2012,p42) حيث يعد هذا الكتاب اكثر كتبه ارتباطاً بعلم الاجتماع

لطرحه مفهوم الاستشراق كأيدولوجية غربية تخدم المصالح الإمبريالية والاستعمارية(Syed Alatas,2009 p3997) حيث يري سعيد من خلال نظريته أن هناك صور زائفة يصنعها المفكرون الغربيون (المستكشفون الغربيون، الشعراء، الروائيون، الفلاسفة، منظرو السياسة، الاقتصاديون منذ احتلال نابليون لمصر عام 1798) للآخر متناقضة مع الغرب المتحضر، مما أظهر الآخر بأنه بدائي (Hamadi, L. 2014,p46) ، ويحاول سعيد التفريق بين نمطين هما السياسة الاستعمارية للغرب ، والشعوب الغربية التي وسمها بالمتحضرة، أو يحاول أن يشير إلى التناقض الفكري للغرب أو كليهما وإن كانت الرؤية الأخرى هي الأولي.

بيد أن كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد لم يسلم من الانتقادات على المستوى العالمي مما حدى به أن يطرح كتاب آخر أطلق عليه تعقيبات على الاستشراق تناول فيه شرح لمنهجية الاستشراق وآليات التأويل لها كمنهج من زاوية وردا على الفكر المعارض للاستشراق متناولا العلاقة بين السلطة والمعرفة ودور المثقف متناولا المنطقة الفكرية التي غطاها كتاب الاستشراق (إدوارد سعيد، أ1996، ص 33).

وعلى الرغم من ذلك فإن فكرة التحرر لدى إدوارد سعيد تقترن برؤيته عن حل القضية الفلسطينية من خلال الامتزاج بين الثقافتين الفلسطينية الإسرائيلية بالمعني السياسي، أو الامتزاج بين العرب واليهود بالمعني الأيديولوجي، فإن إدوارد سعيد على خلاف فرانز فانون لا يحبذ الحل من خلال الحرب أو بمعني ادق التحرر من خلال استخدام القوة ولكنه يؤمن بالتعايش السلمي، وإن رايه هذا لا يروق لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين على حد سواء إذا تؤمن القيادة السياسية للطرفين بالانفصال (إدوارد سعيد، 2007، ص ص 18–20). ويري سعيد أنه وجه إليه نقدا لنبذه فكرة الكفاح المسلح؛ حيث يري أنها لم تسهم بإحراز أي تقدم للقضية الفلسطينية (إدوارد سعيد، 2007، ص 14).

"لقد عززت الإمبريالية خليط الثقافات والهويات على مستوى كوني، غير أن أسوأ هباتها وأكثرها اتساماً بالمفارقة أنها حملت الناس على الاعتقاد بأنهم بيض أو سود، غربيون أو شرقيون...فقط، لكن كما أن البشر يصنعون تاريخهم الخاص، فإنهم يصنعون ثقافاتهم وهوياتهم العرقية، ولا يمكن نكران ذلك، ليس ثمة سبب سوى الخوف والتحيز في تأكيد المرء على انقضائها وانفصالها، وهذا يعني إلا نصنف الآخرين أو نضعهم في تراتبيات، وإلا نكرر باستمرار أن ثقافتنا أو بلادنا" هي الأولى "(إدوارد سعيد، 2014، ص 391).

لقد طرح سعيد فكرة الهُجنة الثقافية (التعددية) كونه هجين بين الثقافة العربية والأمريكية مستنكرا أن الهجنة تؤدي إلى السيطرة والعداوة، بل تؤدي إلى المشاركة وتجاوز الحدود، وإلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة مخالفاً صاموئيل هانتنجتن فيما يتصل بصدام الحضارات المتصل بإن صدام الحضارات أمر لا مفر منه (إدوارد سعيد، 2014، ص 10). وعلى هذا الأساس يشدد سعيد على فكرة ذوبان المجتمعات من خلال آرائه الداعية إلى جعل الفلسطينيين والإسرائيليين يتعاشون في وطن واحد، حيث رأي أن الأنثروبولوجيا وجها خاطئ للتقسيم الاستعماري، أي لا يجب أن نصف الشعوب وفقا للجنس أو النوع أو العرق ولكنهم يمكن أن يشكل التنوع مجتمعا متكاملا (Varisco, Daniel. 2004, p93).

_ مروة صلاح الدين (2018) التحرر من الذات والاخر: دراسة تحليلية لكتابات منظري الماركسية والنقدية وما بعد الكولونالية، مجلة كلية الآداب بقنا.

الفصل الحادي عشر
نظرية ما بعد الحداثة

مفهوم ما بعد الحداثة Postmodernism.

إن التصدي لتعريف مصطلح ما بعد الحداثة يؤكد أنه لم يحظِ مصطلح في الآونة الأخيرة بدوي كبير وعلى نطاق واسع من الدراسين والفروع المعرفية المختلفة كما حظي مصطلح ما بعد الحداثة، فهناك الكثير من الغموض والجدل المثار حول ما يعنيه هذا المصطلح بالتحديد[55]، ويرجع ذلك للتداخلات والتشابكات بينه وبين عدد من المصطلحات القريبة منه أو ذات العلاقة به، وعلى الأخص *Postmodernity* الذي يتضمن الحداثة *Modernity* بمعناها الواسع بدلا من النطاق الضيق للحداثة الفنية.وكذلك مصطلح ما بعد البنيوية والذي يميز انقسام المنظورات النقدية والتي كثيرا ما تتخذ طريق ما بعد الحداثة[56].

كما قدمت في ذلك الصدد تعريفات متعددة ومختلفة فيما بينها، فالبعض يربطه بمجتمع ما بعد الصناعي، و البعض الآخر يربطه بعالم ما بعد الماركسية، بينما لا يزال آخرون ينظرون إليه على انه أحد حركات النقد الأدبي، و البعض ينظرون له كمرحلة تتميز بإتاحة الفرصة لشرائح جديدة في مجتمع متعدد ومتنوع الثقافات، مما يؤكد صعوبة الوصول لتعريف واحد شامل لحركة فكرية تتطور في العديد من الاتجاهات المختلفة [57].

ومن خلال الاطلاع على عدد من التعريفات التي طرحت حول هذا المصطلح في دوائر المعارف وكتابات ما بعد الحداثة ، يمكن أن نرصد ثلاثة منظورات في

([55])George Ritzer, Sociological theory, ,New York ; McGraw-Hill, 5th ed, 2000, p 603.

(56)"postmodernism" *Dictionary of the Social Sciences*. Craig Calhoun, ed. Oxford University Press 2002. *Oxford Reference Online*. Oxford University Press. 29 March 2005

<http://www.oxfordreference.com/views/ENTRY.html?subview=Main&entry=t104.e1306>

([57]) James Farganis , Readings in social theory: The classic tradition to post-modernism ,New York ; McGraw-Hill . 1993 . p 363.

تناول المصطلح: المنظور العام، والمنظور التخصصي، والمنظور اللغوي، وفيما يلي توضيح لكلٍ منهم.

أ- المنظور العام.

يعتمد هذا المنظور في تعريف المصطلح على تناوله بشكل عام دون التقيد بمعناه التخصصي في مجال معين، ومن أبرز التعريفات التي قدمت بذلك الأسلوب تعريف *Norman K Denzin* في موسوعة النظرية الاجتماعية، حيث ذهب إلى أن ما بعد الحداثة أو ما بعد الحديث يشيران إلى أربعة أشياء في ذات الوقت:

"أولا : يصف المصطلح سلسة من الحقب التاريخية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر وهذه الحقب تشمل عدداً من الأحداث الكبرى كحرب فيتنام ، وحربي الخليج الأولي والثانية، وفترات الكساد الاقتصادي العالمي في السبعينيات والثمانينيات، وبزوغ القوى المحافظة أو النظم السياسية الليبرالية الجديدة في أوربا وأمريكا، وفشل اليسار في أن يصّعد الهجوم الفعال ضد هذه النظم، وسقوط حركة العمال العالمية، وظهور السياسات المحافظة للصحة والأخلاقيات والتي تتمركز حول النشاط الجنسي والأسرة، هذا إلى جانب ظهور النظم الشمولية في أوربا واسيا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا وانتهاء الحرب الباردة وظهور(*) Glasnost والتمييز العنصري في كافة أنحاء العالم.

ثانيا: تشير ما بعد الحداثة إلى الأشكال متعددة القوميات من الرأسمالية المتأخرة والتي تقدم منطق ثقافي جديد وأشكال جديدة للاتصال وتجسد الاقتصاد العالمي والأنساق الثقافية .

ثالثا: تصف ما بعد الحداثة حركة في الفنون المرئية والعمارة والسينما والموسيقي الشعبية والنظرية الاجتماعية والتي تذهب ضد الواقعية الكلاسيكية والتشكيلات الحداثية.

(*) يشير الجلاسنوست إلى السياسة السوفيتية التي تسمح بالمناقشة المفتوحة للقضايا السياسية والاجتماعية وحرية نشر الاخبار والمعلومات.(http://www.merriam-webster.com/dictionary/glasnost(

رابعا: كما تشير ما بعد الحداثة إلى شكل من التنظير والكتابة عن ما هو اجتماعي يتسم باللاتأسيسية أو لا أصولية (أي عدم الارتكاز على الأسس أو الأصول القديمة) وما بعد الوضعية والتأويلية والنقدية." (58).

وفي ضـــوء ذلك حاول مســـتخدمو كلمة ما بعد الحداثة أن يصـــفوا به الميادين الســـياســـية والثقافية والأخلاقية والفنية والعلمية على نحو يختلف بوضـــوح عن الفترة الســـابقة لها تاريخيا، والتي يطلق عليها بشـكل عام الحديثة أو التنوير باعتبارها مرحلة من التاريخ العالمي (59).

يتضـح من التعريف السـابق إصـرار دينزين على أن يشـمل تعريفه الأبعاد المختلفة لما بعد الحداثة، فلقد أوضح البعد السياسي والاقتصادي والثقافي والسوسيولوجي، لذلك يعد تعريفه من اشمل التعريفات التي قدمت لما بعد الحداثة.

ب- المنظور التخصصي.

يقتصـــر أصـــحاب هذا المنظور على توضـــيح معنى ما بعد الحداثة في أحد المجالات التطبيقية لها(كالعمارة، الســـينما، الدراما، الإعلام، الأدب، علم الاجتماع، الفلسـفة...الخ) من منطلق أن هناك اختلافات بينية تميز رؤية وتجسـيد كل تخصـص لما بعد الحداثة، ومن واقع التخصـص سـنكتفي بتقديم مثال واحد لهذا الأسـلوب في تخصـــص علم الاجتمـاع؛ حيث يعبر ***A.Preda*** عن مـا بعد الحداثـة في علم الاجتماع بقوله:

1. *"ما بعد الحداثة **postmodernism** تدل على مركب من اتجاهات التنظير وما بعد التنظير.*
2. *تحليل ما بعد الحداثة **postmodernity** يفهم بأنه الإحاطة بالســـمات الثقافية والاجتماعية للرأسمالية المتأخرة.*
3. *توسيع مجال البحث السوسيولوجي ليشمل مجالات جديدة.*

(58)Norman K Denzin, Postmodernism, In George Ritzer, Encyclopedia of social theory, vol 2 ,London: Sage publications, 2004,p p 581,582.
(59) Norman K Denzin, Images of postmodern society :social theory and contemporary cinema, London : sage publications,1994, pp2,3.

4. وأشكال جديدة من التعبيرات السوسيولوجية.

ولذلك ما بعد الحداثة السوسيولوجية شكل من التحليل السوسيولوجي، ونوع من الحس السوسيولوجي والوضع الثقافي والاجتماعي لعلماء الاجتماع في ذات الوقت.وهذه التنويعات تشترك في سلسلة من المقولات النظرية والمنهجية، ولكنها تختلف في نتائجها وبرامجها البحثية، وتتمثل العناصر المشتركة الجوهرية في: تجنب الاستعانة بالافتراضات العامة المتاحة والمقبولة(السابقة) كالأسس النظرية والمنهجية معاً. مع منح دور رئيسي لأفكار مثل الفاعل، الهوية، النص، والرمز في تحليل المجتمع." (60)

ج- المنظور اللغوي.

على غرار التمييز بين *Modernity& Modernism* ـــ الذي سبق إيضاحه في الفصل السابق ـ يتجه عدد كبير من العلماء(*) في تعريفهم لما بعد الحداثة إلى الاهتمام بالتمييز بين *Postmodernity & Postmodernism* ، ونكتفي في هذا الصدد بالإشارة إلى تعريف *David Lyon* حيث أقر بأن:

" *Postmodernism* تشير إلى ظواهر ثقافية وفكرية حدد منها ثلاثة؛ *الأولي*: التخلي عن الأصولية في فلسفة العلم حيث النظر للعلم باعتباره قائم على أساس قوي من الحقائق القابلة للملاحظة، ومن ثم تتشكك ما بعد الحداثة في التعهدات الرئيسية للتنوير. *الثانية*: يترتب على ما سبق انهيار التدرج في المعرفة والذوق والرأي (بمعنى انهيار معايير المفاضلة) والاهتمام بالمحلي بدلا من العالمي، حيث كان يعتقد في ظل الحداثة أن مرونة العلم تفقده سيطرته وسلطته، وصار ذلك بالنسبة لما بعد الحداثة ليس أكثر من شعار. *الثالثة:* استبدال الكتاب المطبوع بشاشة التلفاز، والانتقال من الكلمة للصورة ومن الخطاب للشكل ومن النظام logocentrism للنظام الايقوني. *بينما تركز*

(60)A.Preda, Postmodernism in sociology, In Neil J.Smelser& Pul B. Baltes, International encyclopedia of the social &behavioral sciences, vol 17, Amsterdam: Elsevier 2001, p 11865

* Jonathan Friedman, post-modernism, Adam Kuper& Jessica Kuper, The social science encyclopedia, second edition , London& New Yourk,2003, Pp652-654.=

-George Ritzer & Douglas J. Goodman, Modern sociological theory, N.Y :Mc Grawhill,6th ed,2004, p469.

- A.Preda,,Op.Cit.,Pp 11865,11866.

***Postmodernity*على التغيرات الاجتماعية الجلية سواء كان النمط الجديد للمجتمع الآخذ في التشكل أو إرساء المرحلة الجديدة من الرأسمالية، في كلا الحالتين فإن أنماط التحليل الاجتماعي والممارسة السياسية سيصبحان موضعا تسأل، وفي كلا الحالتين ثمة قضيتين حاسمتين: الأولي: أهمية المعلومات الجديدة والتقنية الاتصالية وتيسير التوسعات الأخرى كالعولمة ، والثانية: الاستهلاكية فقد تختفي المركزية التقليدية للإنتاج."** [61].

من خلال ذلك التعريف وغيره من التعريفات التي تسلك نفس النهج يمكن أن نخلص إلى أن عملية ما بعد الحداثة لها بعدان مترابطان:

الأول : *Postmodernity* يعبر عن حالة مجتمعية تعاصرها المجتمعات الغربية تجمع كافة التغيرات والتحولات التي شهدتها تلك المجتمعات في الآونة الأخيرة .

الثاني : *Postmodernism* يمثل حركة فكرية نقدية تغلغلت إلى الفروع المعرفية المختلفة وعملت على نقد ودحض الأسس التي اعتمدت عليها تلك الفروع المعرفية في صياغة تراثها المعرفي خلال مرحلة الحداثة .

ويكشف (Sarup 1993)عن ذلك الارتباط بينهما بقوله: إنه إذا كانت *Modernism* هي ثقافة Modernity فإن *Postmodernism* هي ثقافة *Postmodernity* [62].

وفي ضوء التحليل السابق للأساليب المختلفة في طرح مصطلح ما بعد الحداثة، يجدر بنا أن نشير إلى أن الدراسة الحالية **تتناول ما بعد الحداثة *Postmodernism* باعتبارها حركة فكرية ظهرت في علم الاجتماع من الثمانينيات طرحت مواقف نقدية للنظرية والمنهج في ذلك العلم، كما طرحت بدائل جديدة في كلٍ**

([61]) David Lyon, Postmodernity, Series:Concepts in social thought, Minneapolis, University of Minnesota press, 1994,p7.

(62)ANTHROPOLOGICAL THEORIES,Avilable on line: http://www.as.ua.edu/ant/faculty/murphy/436/pomo.htm#Bassicpremises>6 March 2006.

منهما، وتأثرت بشكل أساسي بالمتغيرات البنائية الجديدة التي طرحها المجتمع ما بعد الحداثي .

النشأة والتطور .

يجدر بنا أن نميز من البداية عند تحليل تلك القضية بين نشأة المصطلح، ونشأة الحالة، ونشأة الحركة.

ما بعد الحداثة كمصطلح.

نتبين أن محاولة تتبع استخدام مصطلح ما بعد الحداثة بقصد التوصل إلى الاستخدام المبكر له تنتهي بنا إلى ما أشار إليه كل من سمور فيل Somervell وتوينبي حينما ارجعا تاريخ ظهور فكرة ما بعد الحداثة إلى تاريخ ظهور ما يعرف بالمرحلة الرابعة في التاريخ الغربي وبالتحديد عام 1875، وبعد انهيار عصور الظلام [63] وإن كان هذا التقدير الزمني لأول استخدام لمصطلح ما بعد الحداثة غير مقنع، أو على الأقل لا يعبر عن نفس المعنى الذي نتعارف عليه اليوم لما بعد الحداثة.

تؤكد أدبيات ما بعد الحداثة أن بداية ذلك المصطلح لم تكن سوسيولوجية، فلقد استخدم في النقد الأدبي بأمريكا اللاتينية في الثلاثينيات ليشير إلى الأشكال الجديدة من التعبيرات في علاقتها بجماليات الحداثة[64]، كما استخدمه المؤرخ الانجليزي ارنولد توينبي في عدة أجزاء من كتابة دراسة في التاريخ الصادرة عامي 1939، 1945، 1947 ليشير إلى التغيرات التي شهدتها الحضارة الغربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، ثم استخدمه في أجزاء أخرى من الكتاب لوصف المرحلة التالية للحرب العالمية الأولي والثانية[65]. بينما استخدمهJoseph Hudnut في مجال العمارة عندما عنون مقالته عام 1945المنزل ما بعد الحديث (ليصف طراز المنازل

([63])عبد الله محمد عبد الرحمن, النظرية في علم الاجتماع,الإسكندرية, دار المعرفة الجامعية,2005, ص 366.

([64])A.Preda,,Op.Cit.,Pp 11865,11866

([65]) مارجريت روز , ما بعد الحداثة, ترجمة أحمد الشامي, القاهرة, الهيئة العامة للكتاب, 1994, ص19.

ســابقة التجهيز[66]) فما بعد الحداثة دليل على الاقتباس التاريخي طبق على واجهات المباني بفضل فيليب جونسون وميشيل جيرف[67].

ومنذ ذلك الحين بدأ يتواتر مصـــطلح ما بعد الحداثة في أكثر من مجال[68]*، وما يعنينا هنا هو ظهوره في علم الاجتماع، حيث تســـجل أدبيات علم الاجتماع أول ظهور لذلك المصطلح في مؤلف سي رايت ميلز الخيال السوسيولوجي في عام 1959 ، حين أشـار أن ثمة فترة ما بعد حديثة تعقب العصـر الحديث حيث تتسـم تلك الفترة بالتحدي الذي يواجه تماســك قيم عصــر التنوير التي تخص العقلانية العلمية والحرية الســياســية [69]،كما قدم ذلك المصــطلح من خلال مقال *Amitai Etzioni* المجتمع النشـــط *The active society* المنشـــور في A *theory* of *societal and political processes* عام 1968، حيث أشـــار في ذلك المقال بأن الحقبة الحديثة انتهت مع التغيرات الجذرية التي طرأت على تكنولوجيا الاتصـــالات والمعرفة والطاقة في أعقاب الحرب العالمية الثانية. [70]

ومع بداية الســبعينيات بدأ يتداول المصــطلح على نحو أكثر في النصــوص السوسيولوجية في فرنسا وأمريكا الشمالية وبريطانيا، وفي ذات الوقت كان للمصطلح رصيد عام في النظرية الأدبية والنقد، ولقد لعب مؤلف الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار وضــع ما بعد الحديث: تقرير عن المعرفة 1979 دوراً مؤثراً في أن يعرف ذلك المصطلح على نطاق واسع وأن يستخدم في العلوم الاجتماعية[71]، حيث إنه أعلن في

(66) المرجع سابق, ص 16.

(67) Robert Barsky, Postmodernity:In Victor E.Taylor & Charles E.Winquist, Op.Cit.,P 307.

*لمتابعة تطور استخدام مصطلح ما بعد الحداثة في المجالات المختلفة يمكن مراجعة:

- مارجريت روز, مرجع سابق, ص ص21- 29.
- عبد الله محمد عبد الرحمن, مرجع سابق, ص ص366- 368.

([69])Edgar F Borgatta,& Marie L Borgatta, Encyclopedia of Sociology, USA, Macmillan Reference,2ed,Vol3,p2205.

([70]) مارجريت روز, مرجع سابق, ص ص 181, 182.

([71])A.Preda,,Op.Cit.,P11866.

ذلك المؤلف أن أبناء المجتمعات الرأسمالية المتقدمة يعيشون في عالم ما بعد الحداثة منذ الستينات على الأقل[72]، وقد كان ذلك التصريح كفيل بأن يحول ما بعد الحداثة من مجرد مصطلح يتداول على نحو محدود هنا وهناك إلى مصطلح ذو دلالة سوسيولوجية يشير إلى حالة مجتمعية، مما جعلها في لب اهتمام علم الاجتماع، وذلك ينقلنا إلي القضية الثانية ألا وهي نشأة الحالة.

ما بعد الحداثة كحالة.

لابد أن نشير هنا أن بداية إدراك ما بعد الحداثة أو التعبير عنها كحالة مجتمعية لا يعني بالضرورة بداية نشأة المجتمع ما بعد الحداثي في الواقع، ولذلك نجد تباين كبير بين علماء الاجتماع بل والمؤرخين في تقديرهم الزمني لظهور مجتمع ما بعد الحداثة.

وأبرز الأمثلة على ذلك التباين، تناقض أرنولد توينبي مع نفسه، فلقد استخدم مصطلح ما بعد الحداثة في كتابه دراسة في التاريخ للإشارة إلى التغيرات التي شهدتها الحضارة الغربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، كما يستخدمه في الجزء الخامس من نفس الكتاب لوصف الفترة التي تبدأ منذ الحرب العالمية الأولي، وفي الأجزاء التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية 1945 فلقد استخدم توينبي مصطلح ما بعد الحديث للإشارة لتلك الفترة.

وعلى مستوى علماء الاجتماع نلحظ اختلافهم حول تاريخ نشأة الحالة المجتمعية فيما يتعلق بما بعد حداثية، فبينما يؤرخ ايتزوني لبداية الفترة ما بعد الحداثية من عام 1945[73] ويتفق معه دينزين لأنه يعتبرها تعقب الحرب العالمية الثانية، حيث اقترنت بعدد من الأحداث والأزمات والحروب التي أعادت صياغة الحياة والثقافة الأمريكيتين[74]، إلا أنه يقرر في موضع آخر أنه من غير الممكن أن نصل إلى تاريخ

([72]) جوردون مارشال , مرجع سابق, ص 1247.

([73]) مارجريت روز, مرجع سابق, ص 182.

([74])Norman K Denzin, Images of postmodern society :social theory and contemporary cinema, Op.Cit., p 3.

محدد لبداية فترة ما بعد الحداثة [75] ، في حين يرى ليوتارد أن هذه الحالة تعايشـــها المجتمعات الرأسمالية المتقدمة منذ الستينيات[76].

أرى أن ما بعد الحداثة شأنها شأن الحداثة ظاهرة استدلالية ، أي يستدل عنها بالعديد من الشـواهد المختلط فيها المادي بالمعنوي، وليسـت كيان مادي ملموس يمكن أن نحدد بدقة تاريخ ظهوره، ويكفي أن نحدد أن ظهورها اقترن بعدد من الأحداث الكبرى والتطورات التكنولوجية الهائلة ـــ والتي سبق أيضاحها في بداية الفصل ـــ التي بدأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتفاوتت في مدى وضوحها من عقد لآخر حتى تم إدراك تلك الحالة والتعبير عنها في التحليلات السوسيولوجية بالشكل الذي أسهم في صياغة حركة سسوسيولوجية تحمل نفس المسمى ما بعد الحداثة.

[75]) Norman K Denzin, Postmodernism, Op.Cit., p581. (

([76]) جوردون مارشال , مرجع سابق, ص 1247.

ما بعد الحداثة كحركة.

من الملاحظ أن الاستخدامات المبكرة والمتناثر ة لمصطلحات ما بعد الحداثة أو ما بعد الحديث كانت على قدر كبير من التباين والتناقض فيما بينها إلى الدرجة التي لم يسمح بها أن تشكل تيارا فكريا موحدا محدد المعالم وواضح التوجهات، ويرجع ذلك إلى تنوع واختلاف المجالات التي استخدم فيها ذلك المصطلح، ولكن مع الوقت وتراكم الدراسات والتحليلات بدأ يتشكل عدد من الحركات الفكرية جاء في مقدمتها " ما بعد الحداثة في التصميم المعماري التي تشكلت كرد فعل تجاه الوظيفية الصارمة(المتطرفة) لمدرسة بوهوس Bauhaus "[77], ثم ما لبثت أن ظهرت في النقد الأدبي، ثم في الفلسفة غير أن التطور البالغ الأهمية لها هو انتقالها إلى مجال العلوم الاجتماعية، وظهور تطبيقات هامة لأفكارها في علم السياسة وعلم الاجتماع وظهور إسهامات نظرية ومنهجية، بل ودراسات تطبيقية تستوحي المبادئ الأساسية والقواعد المنهجية للحركة [78].

يقرر البعض أن حركة ما بعد الحداثة في علم الاجتماع قد تولدت في نهاية **الستينيات** ومطلع السبعينات (هويس و *Heller،Renault*) ويرى سكوت لاش أن ما بعد الحداثة وصلت إلى مرحلة النضج الفكري في نهاية الستينيات بعد أن تهاوت أفكار نهاية الايديولوجيا. وبتأثير ثورة الطلاب الماركسية ظهرت إرهاصات ما بعد الحداثة رافضة لميتافيزيقا الحضارة الغربية ومنتجاتها وعلى الأخص الحداثة والتحديث[79], كما كانت تشكل تيارا رافضا للحداثة العليا وكانت تهدف إلى تنشيط ميراث الفكر الراديكالي الثوري الأوربي وإضفاء الطابع الأمريكي عليه، وبحلول **السبعينيات** كانت ما بعد الحداثة الأولي استنفذت إمكاناتها، وظهرت روافد تحاول نشر ثقافة توفيقية(*Eclecticism*) تعيد النظر في مفاهيم الاتجاه النقدي السائد بناء على تغيرات في الواقع وفي الفكر، ومن هذا المنطلق يجب أن ينظر لحركة ما بعد الحداثة

---

(77) "Postmodernism" Dictionary of the Social Sciences. Craig Calhoun, ed. Oxford University Press 2002. Available on line,Op.Cit.,.

([78]) ناهد أحمد سيف, مرجع سابق, ص 102.

([79]) Scott Lash, sociology of postmodernism, London: Routledge,1990,p 5.

من منظور زماني مكاني، لا على أنها تمرد على الحداثة في حد ذاتها وإنما على ما وصــلت إليه الحداثة في مراحلها المتأخرة، إنها إذن حركة ضــمن إطار الحداثة وليس ضــدها، حيث كان البحث عن تقاليد ثقافية ضــمن مشــروع الحداثة ذاته، وقد أكدت مرحلة **الثمانينيات** أن منظومة الحداثة وما بعد الحداثة في أكثر المجالات المتنازع عليها في النظرية الاجتماعية اهتمامها بالعناصـــر الثقافية ودورها في تحليل الواقع وتشخيصه [80].

ومن خلال تلك المراحل تشكلت حركة ما بعد الحداثة وحددت مواقفها ومقولاتها الفكرية بشـكل جعلها تحتل مكانا بارزًا في كلٍ من النظرية والتحليلات السـوسـيولوجية المعاصرة.

المواقف الفكرية.

صـــيغت المواقف الفكرية لما بعد الحداثة في إطار منظورها النقدي للحداثة وكل ما جاءت به، سـواء على المسـتوى المادي أو على المسـتوى الفكري، وجاء ذلك نتاجا طبيعيا لما تميزت به فترة ما بعد الحداثة من "وعي قومي بإخفاق الحداثة وتبعاتها الســلبية خاصـــة فيما يتعلق بالدمار الذي أحدثته بالبيئة وما يمثله ذلك من أخطار للجنس البشـــري"[81] إلى جانب الإدراك المتنامي بالمخاطر والآثار العكســـية غير المقصـودة لمسـيرة التقدم كتلوث واسـتنزاف البيئة، وتكاثر الأسـلحة النووية والكيماوية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل[82]، من ثم تشكلت حركة ما بعد الحداثة التي ظهرت إرهاصاتها بعد الحرب العالمية الثانية كتعبير عن خيبة الأمل الناجمة عن فشل الآمال العريضـــة التي كانت معلقة بإمكانيات التقدم التكنولوجي في تحقيق مجتمع الرفاهية والرخاء لجميع الطبقات الاجتماعية، من ثم فهي ارتدادا واعيا عن معظم القيم التي نادى بها دعاة الرأسـمالية المطلقة [83]، أو دعاة الحداثة بشـكل عام .وفي ضـوء ذلك

([80]) أحمد مجدي حجازي, مرجع سابق, ص ص 202- 203 .
([81]) مايك أودنيل , مرجع سابق, ص 72.
([82]) المرجع السابق, ص 125.
([83]) سيد محمد علي فارس , مرجع سابق, ص 22.

قدمت الحركة الفكرية لما بعد الحداثة مجموعة من المواقف النقدية تجاه المجتمع وأبنيته السياسية والاقتصادية وتجاه العلم ذاته.

ومن منطلق الالتزام بموضوع هذه الدراسة ألا وهو مناقشة النظرية والمنهج في سوسيولوجيا ما بعد الحداثة، نكتفي بتوضيح المواقف النقدية التي اتخذتها الحركة الفكرية لما بعد الحداثة من العلم، والذي يتضمن:

أ نقد الأبنية النظرية.

ب نقد الأسس المنهجية.

ج نقد أهداف العلم .

وفيما يلي تناول كل منها بشيء من التفصيل.

نقد الأبنية النظرية.

- يرى كل من *Renée Weber*،*Roby Rucker* ـــ وهم من نقاد ما بعد الحداثة الرمزيين ـــ أن العلماء يخطئون في محاولة إعادة تقديم عالمنا في صورة نماذج ومصطلحات نظرية مجزأة ومجردة، خاصة وأن افتراضات العلم كما يرى كامبل ليست أكثر من الحقيقة الواضحة للعيان في الثقافة الغربية[84]، مما ترتب عليه الدعوة إلى إزالة الحدود والفواصل بين التخصصات المعرفية والتخصصات الفرعية والتوجه نحو تعددية التخصص والمزاوجة بين التخصصات، حيث الاعتماد على منظور متعدد الأبعاد قائم على الأفكار التركيبية من مجالات عدة كالفلسفة والاقتصاد السياسي والنظرية الثقافية والتاريخ والانثربولوجيا وعلم الاجتماع [85].
- رفضت ما بعد الحداثة الفكرة السائدة عن كلية المعرفة (Universality of knowledge) فهي من وجهة نظر مفكري ما بعد الحداثة تغفل المحتوى السياقي للمعرفة[86]، حيث أشار علماء ما بعد الحداثة إلى أنه من غير الملائم أن

([84]) Mel Churton, Op.Cit., P 298.

[85]) George Ritzer, Sociological theory, Op.Cit., P605.(

([86]) أحمد مجدي حجازي , مرجع سابق, ص218.

يفترض علم الاجتماع أن المعرفة يمكن أن تمتد إلى مجتمعات بأكملها بما فيه من أبنية وعمليات متنوعة ، من ثم يدين مفكري ما بعد الحداثة النظريات الكبرى أو انساق التفسير الكبرى Meta-narrative كشكل غير مقبول للنظرية؛ لأن ما تقدمه من تفسيرات غير قابلة للتحقق وتختزل التنوع المجتمعي، وبدلا من ذلك يطرح ما بعد الحداثيين فكرة الانتقائية النظرية لتضع أسس المناقشات النظرية، ويدعون إلى تطوير انساق تفسير صغيرة وأكثر محلية [87].

بودليار: ما بعد الحداثة بين المحاكاة وموت الاجتماعي.

عند تناول التاريخ الفكري لجان بودليار (1929–2007) ***Jean Baudrillard*** مع ما بعد الحداثة نجد أن أعماله اتسمت بالثراء والتنوع الذي يعجز أمامه الباحث أن يوفيه حقه في التحليل في دراسة واحدة، لذلك سنحاول أن نضع منهجا لمعالجة أفكاره يعتمد على تحديد موقعه بين المنظرين السوسيولوجين ما بعد الحداثيين، ثم استعراض تاريخه الفكري مع ما بعد الحداثة من خلال أهم كتاباته بهدف تحديد الخطوط العريضة التي تميز تلك الكتابات استرشادا بتصنيفها إلى ثلاث مراحل زمنية، الأولى في السبعينيات، والثانية: في الثمانينيات، والثالثة: في التسعينيات وأوائل الألفية الجديدة، ونظراً لثراء إنتاجه وتنوعه سنكتفي بتحليل اثنتين من نظرياته باعتبارهما نموذج للنظرية السوسيولوجية ما بعد الحداثية ألا وهما:

. المحاكاة والصور المحاكية.

. موت الاجتماعي ومن ثم علم الاجتماع.

(87) Mel Churton, Op.Cit., Pp 106, 107, 108.

1. ***موقع بودلبار على الخريطة السوسيولوجية لما بعد الحداثة.***

على الرغم من وجود صعوبات في تصنيف منظري ما بعد الحداثة نظرًا لتداخل أعمالهم في الكثير من المدارس الفكرية مثل ميشيل فيكوه الذي يصنفه البعض على أنه ما بعد بنيوي، بينما يصنفه البعض الآخر على أنه ما بعد حداثي، هذا إلى جانب تداخل أعمالهم في أكثر من تخصص، كما هو الحال بالنسبة لفريدريك جيمسون الذي يعتبره البعض ممثل لفلسفة ما بعد الحداثة، ويعتبره البعض الآخر ممثل لسوسيولوجيا ما بعد الحداثة، إلا أن الأمر مختلف عند بودلبار، فثمة إجماع على ما بعد حداثية أفكاره وطابعها السوسيولوجي، "فمعظم المهتمين بأعماله لا يعتبرونه فقط ما بعد حداثي، بل أيضا أكثر ممثلي ما بعد الحداثة أهمية ومنهم كيلنر على سبيل المثال... على الرغم أن بودلبار نفسه نادرًا ما يستخدم مصطلح ما بعد الحداثة، وفي بعض الأحيان يرفض استخدام ذلك المصطلح لوصف توجهه" [88] إلا أنه قبله مؤخرًا ليميز اتجاهه كما أنه كرم كأكثر ما بعد الحداثيين تميزًا [89].كما وضعته أطروحاته في الطرف المتشدد من الجدل حول التغيرات الحياتية والاجتماعية النوعية التي طرحتها ما بعد الحداثة[90] وربما يكون بودلبار أوضح نموذج لليسار الثقافي ما بعد الحداثي[91].

لكن ما المحكات التي في ضوئها يمكن القول: إن بودلبار منظر اجتماعي ما بعد حداثي؟

"***أولا*** : أن أعمال بودلبار أثرت بشكل ملحوظ على فكر من يعتبرون أنفسهم منظرين ما بعد حداثيين.

ثانيا: أن أفكار بودلبار مفيدة بحق للفكر المصاغ حول المجتمع ما بعد الحديث"[92]، وكما تنكر بودلبار لفترة طويلة لما بعد الحداثة بالرغم من تأثيره العميق في صياغة فكرها

(88) George Ritzer, Postmodern social theory , London: McGraw-Hill,1997,p76.

(89)Rekha Mirchandani, Op.Cit,p93.

(90)Baudrillard, Jean" Dictionary of the Social Sciences. Craig Calhoun, ed. Oxford University Press 2002. Oxford Reference Online. Oxford University Press. 29 March 2005
<http://www.oxfordreference.com/views/ENTRY.html?subview=Main&entry=t104.e133

(91)Charles Lemert, Social Theory: The Multicultural and Classic Readings , Westview Press : Oxford, p524.

(92) George Ritzer, postmodern social theory,Op.Cit.,P76.

فإنه يتنصل من علم الاجتماع ذاته ذلك العلم الذي" قائم على تدريسه في جامعة نانتير من الستينات حتى 1987"[93]في ذلك الصدد يقول:

" علم الاجتماع علم مقتضب فأنا لا اعتبر نفسي سوسيولوجي على نحو عميق فأنا أعمل على التأثيرات الرمزية أكثر من البيانات السوسيولوجية...فعلم الاجتماع كتخصص علمي تركته منذ الستينيات متجها إلى علم الإشارات (العلامات) والتحليل النفسي والماركسية...العمل السوسيولوجي الوحيد الذي أدعيه هو محاولتي في وضع نهاية لما هو اجتماعي ولمفهوم الاجتماعي ذاته" [94].

وبرغم الغموض الذي يجتنب تصريحات بودليار حول قضية اعتباره سوسيولوجي من عدمه إلا أن المحك في ذلك الأمر هو تأثير أفكاره على فكر قطاع عريض من السوسيولوجين خاصة المهتمين بأفكار ما بعد الحداثة [95]. وفي وصف بودليار لأعماله ولأسلوبه يقول:

" أنا لست مهتم بالواقعية...فكتاباتي ما هي إلا سيناريوهات فأنا أحاول إن أنهي نهاية الأشياء، إنها لعبة تحريضية ليس لأضع نقطة النهاية لكل شيء بل على العكس لأجعل كل شيء يبدأ من جديد، وبذلك يمكنك إن ترى كم أنا بعيد عن التشاؤم" [96].

وبعد أن فرغنا من تحديد مواقف بودليار من ما بعد الحداثة وعلم الاجتماع ووصفه لأسلوبه، ننتقل لتناول تاريخه الفكري مع ما بعد الحداثة من خلال المراحل الفكرية التالية.

2. ***التطور الفكري لبودليار***

المرحلة الفكرية الأولى:إرساء الأفكار وطرح القضايا.

بدأ بودليار اهتمامه بما بعد الحداثة بتحليل التغيرات التي شهدها المجتمع الصناعي ودخوله مرحلة جديدة تغيرت بها الموازين والمعايير هادفاً إرساء موقف

---

(93)Steven Best& Douglas Kellner, Postmodern theory: critical interrogations, 1991,Available on line,

http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/pomo/ch4.html

([94]) Jean Baudrillard, Baudrillard live: selected interviews, Mike Gane (ed), London: Routledge, 1993, PP68,81, 106.

(95) George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit., p77.

(96)Jean Baudrillard, Baudrillard live: selected interviews, Op.Cit.,PP132-133.

ماركسي جديد يتناسب مع المتغيرات الحديثة التي شهدها المجتمع في شكله الرأسمالي الجديد، وفي هذه المرحلة "انشغل بودليار بشكل أولا بتطوير نظرية اجتماعية للمجتمع الجماهيري مرتكزة على نقد ماركس للاقتصاد السياسي وسوسير للنظم الإشارية"[97]. وصاغ ذلك في عدة مؤلفات، جاء في مقدمتها رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه عام 1966 وكانت بعنوان ***'Thèse de troisième cycle: Le Système des objets'*** [98] أو "أطروحة الدائرة الثالثة: نظام الأشياء" التي نشرت عام 1968وترجمت تحت عنوان ***The System of Objects***، ولقد ناقش بودليار في ذلك المؤلف المجتمع الاستهلاكي من منظور ماركسي جديد يعتمد على سيكولوجية لاكان *Lacan* وبنيوية سوسير *Saussur*؛ ليطور قضيته الأساسية التي تتمثل في أن الاستهلاك أصبح القاعدة الأساسية للنظام الاجتماعي[99], حيث يعمل بدلا من الإنتاج على هيكلة وتنظيم العلاقات الاجتماعية.[100]

وفي عام 1970 قدم بودليار"المجتمع الاستهلاكي: خرافات وأبنية" The Consumer Society: Myths and Structures وفي هذا المؤلف طرح رؤية جديدة للاستهلاك قائمة على نقد خرافة أن الإنسان مزود بحاجات توجهه نحو أشياء تمنحه الإحساس بالرضا أو الإشباع، مؤكدا أن الأمر اختلف في النظام الرأسمالي الجديد، حيث يحدد ويسيطر المنتجون على سلوك المستهلكين"فيعد إنتاج واستهلاك نفس الشيء، فهي عملية منطقيّة كبيرة من إعادةِ الإنتاج على نطاق واسع للقوى المُنْتِجةِ وهيمنتها"[101] من ثم لم يعد الاستهلاك ذي علاقة بالاحتياجات الحقيقية، بل أصبح مجرد استجابات لمجموعة متكاملة جدا من الرموز التي تدير عملية التبادل الرمزي،

(97)Charles Lemert, Op. Cit ,p524.

(98)Jean Baudrillard ,Available on line: http://www.en.wikipedia.org/wiki/Jean_Baudrillard

(99)Jacques Mourrain ,The System of Objects , in Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Cambridge:Polity,1988,PP 10,29.

(100) P,patton, Postmodernism: philosophical aspects, In Neil J.Smelser& Pul B. Baltes, ,Op.Cit.,p 11876.

(101)Jean Baudrillard, Consumer Society :myths& structures, Trans: Chris Turner, London, SAG Publications Ltd, 2009,P82.

وتحت تلك الظروف لا يوجد الرضا في إشباع الحاجات بل في الخبرة المتضمنة في النظام ذاته، وفي ظل تلك الظروف تصبح المقاومة أو الاعتراض مستحيلة تقريبا[102] نظراً للهيمنة العليا للنظام المسيطر [103].

وفي مؤلفه "لنقد الاقتصاد السياسي للإشارة" ***For a Critique of the Political Economy of the Sign*** الصادر في 1973 يرى بودليار أن الفرد يضع نفسه بالضرورة داخل نظام الإشارات بابتياعه واستهلاكه للسلع؛ ولذلك فالأشياء دائما ما تقول شيء عن مستخدميها، وهو بذلك طور نظرية للمجتمع محددة بنظام الاستهلاك القرباني الفاخر الذي فيه تصبح الحاجات منتج ايديولوجي[104]، ويحدد الاستهلاك المكانة الاجتماعية للشخص من خلال الأشياء التي يحاول كل فرد وجماعة . يبحثان عن مكان لهما في النظام . أن تدفع النظام طبقا للمسار الشخصي... من هذا المنطلق فلا جدوى من افتراض وجود "شيء تجريبي" [105] لأن الشيء فقط ما له معنى باعتباره علاقة دلالية، من ثم تتخذ علاقة الناس بالاستهلاك قيمة تراتبية في نظام التبادل الرمزي[106] وفقا للمنطوقات الأربعة التي حددها بودليار لقيم الأشياء وهي[107]:

1. القيمة الوظيفية للشيء؛ أي هدفه الأداتي (أو دوره الفعال) (القلم يكنتب، والثلاجة تبرد) وهذا ما أسماه ماركس بقيمة استخدام السلعة.
2. القيمة التبادلية للشيء؛ أي قيمته الاقتصادية (القلم الحبر يساوي ثلاثة أقلام رصاص/ الثلاجة تساوي مرتب ثلاثة شهور)

(102)Craig Calhoun, Baudrillard. Jean, Dictionary of the Social Sciences. Reference Online. Op.Cit.

(103)Dino Felluga, "Modules on Baudrillard: On Postmodernity." Introductory Guide to Critical Theory, Available on line: <http://www.purdue.edu/guidetotheory/postmodernism/modules/baudrillardpostmodernity.html

(104)Jean Baudrillard , Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

(105)Jean Baudrillard, For A Critique of the Political Economy of the Sign, trans. Charles Levin,St. Louis: Telos, 1981, pp 38,63.

(106)Welcome to the World of Jean Baudrillard, Available on line:

http://www.csun.edu/~hfspc002/baud

(107)Jean Baudrillard , Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

3. القيمة الرمزية للشيء؛ أي تخصيصه وقيمته المتفق عليها في علاقتها بموضوع آخر (فالقلم يمثل هدية تخرُج، والخاتم الماسي يرمز لخطبة شخصين).

4. القيمة الإشارية للشيء أي قيمته في نظام الأشياء (فالقلم جزء من المجموعة المكتبية، وقد يُكسب قلم معين صاحبه مكانة اجتماعية... فالذات الإنسانية هُمشت، وربما تآكلت في اللعبة الأغرائية للأشياء.

وفي نفس العام (1973) قدم بودليار مؤلفه مرآة الإنتاج ***The Mirror of Production*** ؛ حيث قدم من خلاله نقدًا وتحليلاً مفصلاً للعديد من أطروحات ماركس، وانتهى إلى أن "الماركسية عاجزة عن التنظير لمجمل الممارسة الاجتماعية بما فيها أكثر أشكال الماركسية راديكالية، باستثناء عكسها لتلك الممارسة في مرآة نمط الإنتاج، من ثم لا يمكن أن تؤدي تلك الماركسية إلى أبعاد السياسة ثوريه".[108]

أنتقل بودليار في مؤلفه "التبادل الرمزي والموت" 1976 ***Symbolic Exchange and Death*** تماما من مجال الاقتصاد السياسي إلى عالمه الإشاري الراديكالي ذي السيطرة الكلية من خلال التركيز على شفرة التبادل الإشاري، حيث يرى أن" الإشارات تشكل بمفردها أنقي وأكثر أشكال الهيمنة غموضا، ولقد امتصت بالكامل في الإشارات التي تحيط بنا... دون إراقة قطرة دم...فالعنف الرمزي في كل مكان ينقش بالرموز بما فيها رموز الثورة" [109] ،كما يرى أن "النظام الكلي في الوقت الحاضر يتخبط في اللاتحديد، حيث *يقوم* "الواقع المشتق" *Hyperreality* للرمز والمحاكاة بامتصاص كل الحقيقة، فالآن مبدأ المحاكاة وليس الحقيقة هو الذي ينظم الحياة الاجتماعية، فالأمور الحاسمة والقاطعة والنهائية تلاشت، فلقد نشأنا الآن بالنماذج، فلم يعد هناك شيء كالإيديولوجية بل هناك فقط محاكاة". [110]

(108)Jean Baudrillard, The Mirror of Production, trans. Mark Poster, St.Louis: Telos Press, 1975, p152.

(109) Jean Baudrillard, Symbolic Exchange and Death, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit., p 130.

(110) Ibid,P120.

حلل بودليار في مؤلفه "انس فوكوه" ***Forget Foucault*** 1977 القوة في ظل متغيرات المجتمع الجديدة في ضوء نقده لفوكوه، حيث يقول" إن الثورة وقعت لا الثورة البرجوازية ولا الشيوعية بل الثورة فقط...من ثم ليس هناك فائدة من مناقشة القوة منذ أن وجدت القوة فقط لتحجب حقيقة إنها لم تعد موجودة...بل ترجع إلى صورتها المحاكية ...فنطاق القوة يشهد عملية تقلص من نجم كبير إلى شهاب أحمر، ثم إلى هوة مظلمة تمتص كل مضمون حقيقي وكل ما حوله من طاقات والآن تتحول فورا لإشارة مجردة وحيدة: إشارة الاجتماعي الذي تسحقه الكثافة" [111].

اكتسبت فكرة الإغراء أبعادًا جديدة في تحليلات بودليار لها في كتابه الإغراء ***Seduction*** الصادر 1979 ؛ فالإغراء لديه يتجاوز معناه التقليدي المرتبط بالجنس أو النساء؛ بل هو بالإضافة إلى ذلك يتخلل شتى مناحي الحياة في العالم المعاصر من السياسة والاقتصاد والفن والإعلام...الخ[112]، فهو أحد مفردات المنظومة التي صاغها في تحليل المجتمع المعاصر ، لذلك " فالإغراء يرتبط عند بودليار بالتبادل الرمزي ... حيث تكمن قوته في قابليته للانعكاس فإشارات الإغراء تُستقبل، وما تلبث إن تحول، ويعاد إرسالها، من ثم يتضمن الإغراء تبادل رمزي"[113], يعد الإغراء أحد الأمثلة لما أسماه بودليار الاستراتيجيات المميتة؛ فهو يرى أن تلك الاستراتيجيات ترتبط برؤيته في أن العلوم الاجتماعية ركزت على نحو تقليدي على الفاعل (الذات) بينما تسعي النظرية الاجتماعية ما بعد الحديثة بوجه عام وبودليار على وجه الخصوص لتهذيب العلوم الاجتماعية بالتركيز على الشيء.[114]

يتضـــح من التحليل الســـابق للمرحلة الفكرية الأولى في أعمال بودليار التي امتدت من أواخر الســـتينيات وخلال الســـبعينيات ، أنه "مثله مثل الكثير من جيل المنظرين الفرنسيين الذين عاصروا اضطراب مايو 1968 ، كانت أعماله المبكرة جزءًا

(111)Jean Baudrillard, Forget Foucault, trans: Phil Beitchman and others, NY: Semiotext, 1987, PP 50,51.

(112)Jean Baudrillard, Seduction: Culture Texts, Trans: Brian Singer,NY: St. Martin's press, 1990,table of contents.

(113)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,PP118, 111.

(114)Ibid,P112.

من تقييم الماركســـية في ضـــوء ذلك الإخفاق الأخير؛ لذلك العمل الثوري كما تأثر . على المدى الطويل ـــــ بالتغيرات المثيرة في المجتمع الرأسمالي التي يأتي على رأسها سيطرة المجتمع الاستهلاكي على النموذج السابق عليه من الإنتاج الصناعي، ذلك التحول يعني لدى بودليار تقادم وتهالك التمييز الأساسي لماركس بين قيمة الاستخدام وقيمة التبادل"(115) ، من ثم ركزت أفكار بودليار المبكرة على المجتمع الاســتهلاكي والأشــياء والإشــارات والشــفرة، أو بمعنى آخر التبادل الرمزي، ولقد كان لتلك الأفكار تأثير عميق في أعماله التالية (116) وفي نظرياته حول المجتمع ما بعد الحديث.

المرحلة الفكرية الثانية: الصياغات النظرية.

شهدت الثمانينيات تحول في فكر بودليار من النظريات ذات الأساس الاقتصادي إلى الاهتمام بالوسائط الإعلامية والاتصال الجماهيري، على الرغم أنه ظل على اهتمامه بإشارية سوسير ومنطق التبادل الرمزي [117], ولقد استند على تحليلاته في المرحلة السابقة في الصياغة النظرية لأفكاره، ومن أهم ما قدم في هذا الصدد . وربما في تاريخه السوسيولوجي كله . نظريته في الصور المحاكية والمحاكاة في مؤلفه ***Simulacra and simulation*** 1981، ومن أكثر القضايا إثارة للجدل أفكاره حول اختفاء السمة الاجتماعية في المجتمع المعاصر تحت ما أسماه موت الاجتماعي الذي قدم فيه تحليلات وافية في مؤلفه ***In the Shadow of the Silent Majorities*** 1982 "*في ظل الأغلبية الصامتة :* " ، وسنفرد لهذين العملين تحليلا منفصلا باعتبارهما نموذجين للنظرية السوسيولوجية ما بعد الحداثية، وواصل بودليار اهتمامه بوضع صياغات نظرية لتلك التغيرات التي يشهدها المجتمع ما بعد الحديث، وانعكس ذلك بوضوح . بالإضافة للمؤلفات السابقة . في مؤلفه "الاستراتيجيات المميتة1983 " ***Fatal Strategies*** التي يعرفها بودليار بأنها " الأشياء التي لا تستجيب إلا لما يتلاءم معها ومن المستحيل الفرار منها"

(115)Baudrillard, Jean, Dictionary of the Social Sciences. Craig Calhoun, ed. Oxford University Press 2002. Oxford Reference Online. Op.Cit.

(116)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit., P92.

(117)Jean Baudrillard , Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

[118] وأكثر الأمثلة التي اهتم بها بودليار لتلك الاستراتيجيات وسائل الإعلام وما تبثه من معلومات لا يستطيع الجمهور الفرار منها.

وواصل بودليار اهتمامه بدور وسائل الإعلام في صياغة الواقع وفرض الحقائق أو بالأحرى الصور المحاكية للحقائق وظهر ذلك في مؤلفه ***The Ecstasy of Communication*** **"** نشوة الاتصال" 1987 الذي "يرى بودليار من خلاله العالم المعاصر منتشي ... حيث تشير النشوة لعملية مستمر من النسج خارج أي محاولة للضبط حتى يؤدي إلى فقد كل المعاني والأحاسيس ...، ويقدم بودليار عدة أمثلة للظواهر المنتشية كالموضة والإعلان والفن والجماهير " [119]، ويبدأ بودليار في هذه المرحلة بتقديم تطبيقات وبراهين تعكس أفكاره كما حدث في مؤلفه الذكريات الباردة 1987" ***Cool Memories*** " الذي اهتم فيه بنموذج مدينة لاس فيجاس، وأيضا مؤلفه ***America*** 1986 "حيث تمثل أمريكا لدى بودليار نموذج العالم المعاصر الذي يصفه" [120].

<u>المرحلة الفكرية الثالثة: التحليلات التطبيقية.</u>

ركزت أعمال بودليار في فترة التسعينيات وأوائل الألفية الجديدة على التحليلات التطبيقية للظواهر الاجتماعية في سياقها العالمي والتي كانت بمثابة أدلة وبراهين تطبيقية تعبر عن أفكاره التي أرساها في المرحلة الأولى، وتعكس نظرياته التي صاغها في المرحلة الثانية، ونظرا لثراء إنتاجه[*] في هذه المرحلة نكتفي بالإشارة إلى ثلاثة أعمال من أهم ما قدم في هذه الفترة ومن أكثرها إثارة للجدل:

---

(118)Jean Baudrillard, Baudrillard live: selected interviews, Op.Cit., P 50.

(119)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,P104.

([120])Ibid, P105.

(*) تتمثل تلك الأعمال فيما يلي:

- The Transparency of Evil (1990)
- The Gulf War Did Not Take Place (1991) English translation 1995.
- The Illusion of the End (1992)
- The Perfect Crime (1995)
- Paroxysm: Interviews with Philippe Petit (1998)
- Impossible Exchange (1999)
- Passwords (2000)

فلقد كان كتابه "وهم النهاية" ***The Illusion of the End*** 1992 أكثر كتاباته تعمقا في السمة التاريخية، حيث نقد فيه فكرة فرانسيس فوكياما التي مفادها أن انهيار الشيوعية السوفيتية أودى بالإنسانية إلى نهاية التاريخ، حيث المكائد العالمية التي حلت بنصر الرأسمالية الحرة، وعلى النقيض يرى بودليار أن نهاية التاريخ كانت دائما وهمًا جاء برغبة الحداثة في التقدم والتحضر والتوحد العقلاني. (121)

من أكثر القضايا التي طرحها بودليار إثارة للجدل والانتقاد قوله: إن حرب الخليج الأولى 1991 لم تحدث في مؤلفه 1991 ***The Gulf War Did Not Take Place*** ، فوفقا لما يراه بودليار فصدام حسين ما كان يحارب قوات التحالف بل يستخدم حياة قواته كأضحية للإبقاء على قوته (122), ولم تكن قوات التحالف تحارب صدام بل كانوا يسقطون مجرد عشرة الآلاف طن من القنابل في اليوم، وينقلون مباشرة معلومات آنية عبر ال CNN ليثبتوا أن هناك عدوًا يتوجب محاربته، فلقد تواطأت أجهزة الإعلام الغربية في تقديم الحرب في وقت حقيقي وإعادة تصنيع لصور الحرب لتروج فكرة أن هناك عدوين في صراع حقيقي (123).

وعلى النقيض من أطروحة بودليار حول عدم حدوث حرب الخليج فإنه في مؤلفه "روح الإرهاب: وقداس البرجين" ***The Spirit of Terrorism: And Requiem for the Twin Towers*** يصف الهجمات على برجي التجارة العالمي بالحدث الحقيقي الجوهري، فلقد أدركها في سياق رد الفعل على التوسع التكنوسياسي

- The Singular Objects of Architecture (2000)
- The Vital Illusion (2000)
- Au royaume des aveugles (2002)
- The Spirit of Terrorism: And Requiem for the Twin Towers (2002)
- Fragments (interviews with François L'Yvonnet) (2003)
- The Intelligence of Evil or the Lucidity Pact (2005)
- The Conspiracy of Art (2005)
- Les exilés du dialogue, Jean Baudrillard and Enrique Valiente Noailles(2005)

(121)Jean Baudrillard, Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

(122)Jean Baudrillard, The Gulf War Did Not Take Place, Tras: Paul Patton, Indiana University Press, 1995, P72.

(123) Ibid, P 61.

للعولمة، وذلك بدلا من سياق الصراع ذو الأساس الديني أو الحضاري[124] ؛ فلقد تناول الحدث وعواقبه بقوله:

" إنه ليس صراع حضارات أو أديان . فهو يصل إلى أبعد من الإسلام وأمريكا . بل عن أي الجهود التي تبذل لتكريس الصراع لكي ينشئ وهم المواجهة المرئية والحل مرتكز على القوة، هناك فعلا عداء أساسي يشير إلى شبح أمريكا التي ربما تكون مركز العولمة، وأن كان ليس هناك معنى للتجسيد المنفرد للعولمة، وشبح الإسلام حيث إنه ليس تجسيد للإرهاب أيضا لمعركة العولمة المنتصرة على ذاتها" [125]

وبذلك يتناول بودليار الهجمات بالأسلوب الذي يتوافق مع رؤاه النظرية للمجتمع؛ حيث *يضع تلك الهجمات بشكل قاطع في* سياق رد الفعل الرمزي إزاء التوسع المستمر لعالم مرتكز فقط على التبادل السلعي. [126]

وبعد أن فرغنا من استعراض تاريخ بودليار مع ما بعد الحداثة من خلال المراحل الثلاث السابقة الذكر، ننتقل فيما يلي لعرض نموذجين للنظرية السوسيولوجية ما بعد الحداثية ربما يكونان من أهم ما قدم بودليار ألا وهما: نظرية بودليار في المحاكاة والصور المحاكية، ورؤيته حول موت الاجتماعي، ومن ثم علم الاجتماع.

3. نظرية بودليار في المحاكاة والصور المحاكية.

برغم أن صياغة بودليار لنظريته في المحاكاة والصور المحاكية عرضت بشكل أساسي من خلال مؤلفه ***Simulacra and simulation*** 1981 ، وسلسلة المقالات التي ترجمت ونشرت تحت عنوان المحاكيات ***Simulations*** 1983، لكن قلما يخل مؤلف من مؤلفاته من إشارة لها أو عرض أو تعليق على أحد مفاهيمها أو منطوقاتها، ونظرًا لهذا التشعب نعتمد في عرض هذه النظرية على تناول منطوقاتها من خلال مفاهيمها الرئيسية والتي حصرنها في: المحاكاة، الصورة المحاكية ومراحلها التاريخية، سبق الصور المحاكية، الواقع المفرط ***Hyperreality*** وخصائصه، العالم ما بعد الحداثي في سياق الصور المحاكية.

---

(124)Jean Baudrillard , Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

(125)Jean Baudrillard, The Spirit of Terrorism: And Requiem for the Twin Towers, Trans: Chris Turner, London: Verso, 2002,P 11.

(126)Jean Baudrillard , Wikipedia the free encyclopedia, Op.Cit., on line.

المحاكاة *Simulation* .

يعد مفهوم المحاكاة من المفاهيم المحورية التي طرحها بودليار في صياغاته النظرية، وحول تحديد مقصده من هذا المفهوم وتمييزه عن التظاهر أو الاختلاق يقول :

" إن التظاهر هو أن تنكر ما أنت عليه (ما هو فيك) لكن أن تحاكي هو أن تدعي ما ليس فيك ؛ واحدة تتضمن الحضور والأخرى تتضمن الغياب، لكن الأمر أكثر تعقيدا، فالمحاكاة ليست ببساطة تظاهر، فإذا تظاهر شخص ما بالمرض يمكنه بمنتهى البساطة أن يذهب للسرير، ويدعى أنه مريض، لكن إذا حاكى شخص ما المرض فإنه ينتج بنفسه بعض أعراض المرض، ولذلك فإن الاختلاق أو التظاهر يترك جوهر الحقيقة سليما والاختلاف بينهما واضح، فهذا الاختلاق أو التظاهر لا يتجاوز وضع قناع، في حين أن المحاكاة تهدد الاختلاف بين الحقيقة والزيف بين الواقعي والخيالي، فمنذ قدم المحاكي أعراض الحقيقة سواء كان مريضًا أو غير مريض فلا يمكن التعامل معه بموضوعية سواء كان مريضًا أم لا ." (127)

ومن ثم تتعارض المحاكاة مع التمثيل، "فالتمثيل يبدأ من مبدأ أن الرمز والواقع متكافئان ومتساويان (حتى وان كان ذلك التكافؤ يوتوبي أو مثالي) وهذه بديهية تأسيسية، وعلى النقيض فإن المحاكاة تبدأ من مثالية ذلك المبدأ للتساوي حيث تبدأ من الإنكار الجذري للإشارة كقيمة و كحق تمثيل الواقع والحكم بموت أي مرجع. فبينما يحاول التمثيل أن يمتص المحاكاة، تغلف المحاكاة كيان التمثيل ككل باعتباره صورة محاكية" .(128)

وهذا ينقلنا إلى مفهومه المحوري الثاني الصورة المحاكية.

الصورة المحاكية Simulacrum.

تواتر كثيرا مصطلحا الصورة المحاكية ***Simulacrum*** والصور المحاكية ***Simulacra*** في أعمال بودليار باعتبارهما من أهم ملامح العالم ما بعد الحديث، حتى أنه "يؤكد أن الموقف المعاصر يتحدد بقوة الصور المحاكية؛ أي بقوة الصور والإشارات (أو العلامات) التي جاءت لمساندة الأشياء (السلع) في الحياة اليومية في عالم الرأسمالية

(127)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit., PP 167—168.

(128)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Trans: Sheila Faria Glase, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1994, P6.

المتأخرة"[129] ، فالصورة المحاكية هي شيء يستبدل الحقيقة بتمثيلاتها، ولقد عرف بودليار ذلك المصطلح في "سبق الصور المحاكية " بأن المحاكاة لم تعد الإقليم أو الكيان المرجعي أو المادة، بل هي جيل من نماذج الواقع التي تفتقد للأصل أو الحقيقة... أو ما أسماه الواقع المفرط أو المشتق ***Hyperreal*** ، فلم يعد هناك مسألة التقليد أو النسخ أو حتى المحاكاة التهكمية المعروفة باسم البارودي؛ بل هناك فقط مسألة استبدال الواقع بإشارات الواقع، واستند في تدعيم ذلك بأمثلة أساسية تتمثل في: المرض العضوي النفسي، ومدينة ديزني لاند، وفضيحة وترجيت [130].

ولقد افتتح بودليار كتابه المحاكيات ***Simulations*** بقوله" ***إن الصورة المحاكية ليست تلك التي تحجب الحقيقة، بل هي الحقيقة التي تخفي، إنه لم يعد هناك حقيقة، فالصورة المحاكية حقيقة***" [131] ***فللصورة قدرة قاتلة؛ قاتلة للحقيقة قاتلة لنموذجها، كالرموز البيزنطية التي بمقدورها قتل الهوية القدسية أو الإلهية، إن تلك القدرة القاتلة تتعارض مع القدرة الجدلية للتمثيلات كوسيط مفهوم ومرئي للواقع... فالإشارة قد تشير إلى عمق المعنى، والإشارة قد تستبدل المعنى، وذلك الأمر يمكن إن يكفل استبدال الله، لكن ماذا لو تم محاكة الله نفسه ليختزل بإشارات تصدق على وجوده؟ وهنا سيصبح النظام ككل بلا معنى، فلم يعد أي شيء سوى صورة محاكية ضخمة ليست غير واقعية بل محاكية ولن تستبدل ثانية بما هو حقيقي، لكن تستبدل بذاتها في دورة مستمرة بلا مرجع أو إطار***".[132]

يؤكد بودليار" ***إن الانتقال من الإشارات التي تتظاهر بشيء إلى الإشارات التي تتظاهر بإنكار شيء يحدد نقطة التحول الفاصلة، فالأولى تتضمن لاهوتية الحقيقة و سريتها (حيث تعود فكرة الإيديولوجية) والثانية تفتتح عصر المحاكاة والصور المحاكية***".[133] ومن هنا يؤكد بودليار أن ذلك العصر الذي ميزه بالمحاكاة ما هو إلا مرحلة تاريخية من عدة مراحل متعاقبة مرت بها الصورة، نستوضحها فيما يلي.

(129)Norman K. Denzin, Postmodern social theory, Sociological Theory, l996, Vol. 4 :Fall, P 195.

(130) (simulacra), Available on line: http://www.cla.purdue.edu/academic/engl/theory/postmodernism/terms Simulacrum

(131)Jean Baudrilard, Simulations, Trans: Paul Foss et al, Semiotext, New York: Foreign Agent Press, 1983,p1.

(132)Ibid, p11.

(133)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit.,P170.

- ***المراحل التاريخية للصورة.***

يحدد بودليار أربعة أنظمة للمثول في الثقافة الغربية هي: (134)

1. النظام الواقعي للإقطاع وفيه تتطابق الرموز مع الحقيقة الخارجية.
2. الحقبة المزيفة من عصر النهضة حتى بداية الثورة الصناعية.
3. نظام الإنتاج حيث كان الإنتاج هو المهيمن في العصر الصناعي.
4. نظام المحاكاة حيث تصبح المحاكاة هي السائدة بالمرحلة الحالية.

تقترن تلك الأنظمة التاريخية الأربعة بأطوار متعاقبة لصور تمثيل الواقع يحددها بودليار في:

1. الصورة في النظام الأول انعكاس لحقيقة أساسية.
2. الصورة في النظام الثاني تقنع وتضلل حقيقة أساسية.
3. الصورة في الثالث تقنع أو تخفي غياب حقيقة أساسية.
4. بينما في الرابع لا ترتبط الصورة بعلاقة بأي حقيقة أيا كانت: فهي هنا صورة محاكية خالصة.

في الحالة الأولى الصور تكون مثول جيد والتمثيل يكون لنظام من الطقوس المقدسة، وفي الحالة الثانية الصورة مثول شرير لنظام مهلك، وفي الحالة الثالثة تتظاهر الصورة بالمثول كما في نظام السحر والشعوذة، وفي الحالة الرابعة لم يعد هناك نظام للمثول على الإطلاق فليس هناك سوى المحاكاة (135).

يؤكد بودليار على مركزية تلك اللحظات التاريخية الأربعة حتى أنه يطلق عليها الثورات الحقيقية، ويحدد ارتباطها بأطوار الصور، ونظم المحاكاة على النحو التالي:

(134)Jean Baudrilard, Simulations,Op.Cit.,p83.

(135)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit.,P170.

1. " اتسمت حقبة ما قبل النهضة أو النظام الإقطاعي بقدر محدود من الحراك الاجتماعي، ووضوح تام للإشارات، فكل إشارة أو علامة تشير إلى منزلة أو وضع اجتماعي معين.

2. لم تعد الإشارات في عصر النهضة ملزمة بالإشارة إلى نظام طبقي ثابت، وفي تلك اللحظة تظهر الإشارة الاعتباطية...، في ذات الوقت هناك حركة نحو الإيديولوجية السياسية الديمقراطية حيث يوجد بها انتقال لقيم وعلامات الهيبة (المكانة) من طبقة لأخرى، وذلك يجعل من الممكن لأحد الطبقات إن تقلد أو تحاكي قيمة وهيبة طبقة أخرى، و بذلك تتنامى وتنتشر إشارات القيمة والمكانة (الموضة)، وتصبح الإشارات والصور مزيفة فهي تمتد للمواد والمكانات الاجتماعية التي لم تعد محددة بوضوح بنظام طبقي ثابت، وهكذا تولد العلامة الحديثة في عصر النهضة، وهي تحاكي العالم الحقيقي، وتقدم حنين للماضي؛ فالإشارة لم تعد علاقة مرجعية ثابتة لعالم اجتماعي مستقر وثابت للموضوعات أو الأشياء الاجتماعية والأشخاص" [136]، وتعد تلك المرحلة عند بودليار ***أول أشكال المحاكاة***.

3. بينما يظهر الشكل الثاني للمحاكاة في العصر الصناعي الذي بدأ بالثورة الصناعية، وتميز بالإنتاج والسلاسل الصرفة من إعادة الإنتاج لأشياء متماثلة (سيارات ، ثلاجات) ، أو حسب تعبير بودليار التكرار المتسلسل لنفس الشيء، وعلى عكس المرحلة السابقة، فليس هناك نسخة أصلية لُتزيف، فالاشياء تصبح صورًا محاكية صناعيا لبعضها البعض، وفي ذات الوقت،يصبح القائمون على إنتاج تلك الأشياء صور محاكية أيضا ، ومن ثم ليس هناك حاجة للتزييف في العصر الصناعي منذ صارت المنتجات تُصنع على نطاق ضخم، وليس هناك أهمية لمسألة أصلها أو تحديده [137].

4. يظهر ***الشكل الثالث من المحاكاة*** في العصر ما بعد الحديث الذي تسيطر عليه الشفرات وجيل من المحاكيات ويتميز بإعادة الإنتاج بدلا من الإنتاج في المرحلة الصناعية[138] ؛ حيث تشير التجربة ما بعد الحديثة إلى شكل من النظام الاجتماعي تتسم فيه السياسة

(136)Norman K. Denzin, Postmodern social theory, Op.Cit.,p195.

(137)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,p97.

([138])Ibid.

والاقتصاد والثقافة ووسائل الإعلام الجماهيرية بإعادة إنتاج أحدها الآخر بشكل لا نهائي من خلال انتشار وتنامي الإشارات والشفرات؛ حيث يستبدل النظام الصناعي بنموذج الحاسبات الآلية والشبكات الالكترونية (الانترنت)، وفي هذا السياق لم يعد هناك حقيقة أساسية تشير لها الأشياء أو الإشارات؛ فهذا هو عصر الـ ***hyperreal*** ، كماُ يَفعل في هذه الفترة التاريخية منطق الردع وخطاب الأزمة ويصبح السلاح الوحيد للقوة محاولة حقن وسائل الإعلام بالحقائق والمرجعيات الإشارية، ففي كل مكان هناك محاولات لإقناعنا أن الاجتماعي حقيقي والاقتصاد في وضع الاحتضار والقيادة السياسية الصلبة ستخرجنا من تلك الأزمة، ومن ثم يصبح الـ ***hyperreal*** والمحاكاة هي الرادع في النظام [139]، ويعبر عن ذلك بودليار بقوله:

> ***" إننا الآن نعرف على مستوى إعادة الإنتاج الموضة والإعلام والدعاية والإعلان والمعلومات المضادة لشبكات الاتصال، وهي تلك القطاعات التي همشها ماركس معتبرا إياها قطاعات غير ذات شأن لرأس المال، بل أنها في نطاق الصور المحاكية والشفرة ترسي العملية العالمية لرأس المال...فلقد انتقلنا من مجتمع الرأسمالية الإنتاجية إلى النظام الرأسمالي الشبكي الجديد الذي يهدف إلى السيطرة التامة"*** [140] .

<u>سبق الصور المحاكية.</u>

من أهم الأفكار التي طرحها بودليار عند صياغته لنظريته في المحاكاة والصور المحاكية فكرة سبق الصور المحاكية التي يعتبرها أحد الملامح المميزة للصورة المحاكية في عالم ما بعد الحداثة، ويعبر بودليار عن تلك الفكرة بقوله:

> ***"إن الإقليم لم يعد يسبق الخريطة، ولا يبقي عليها، لكن من الآن فصاعد الخريطة هي التي تسبق الإقليم . أسبقية الصورة المحاكية . والخريطة هي التي تنشأ الإقليم...فالحقيقة تنتج من وحدات مصغرة ومن مصفوفات وبنوك الذاكرة ونماذج القيادة، وبذلك يمكن إعادة إنتاجها بعدد مرات غير محدد . والحقيقة لن تظل عقلانية، وفي ذلك الحين لن تكون قابلة للقياس في مقابل بعض الحالات المثالية والسلبية...فإذا لم تغلف الحقيقة بالخيال فهي لم تعد***

(139)Norman K. Denzin, Postmodern social theory, Op.Cit.,p196.

(140)Jean Baudrilard, Simulations, Op.Cit.,PP 99,111.

حقيقة على الإطلاق، بل هي واقع مفرط Hyperreality ...، من الآن فصاعد الواقع المفرط محصن من الخيال والتمييز بين الواقعي والخيالي" [141].

وذلك ينقلنا إلى التعرف على مدلول ذلك المصطلح ***Hyperreality*** الذي يتواتر في معظم مؤلفات بودليار.

Hyperreality.

يعد مفهوم Hyperreality من أهم المفاهيم المحورية لدى بودليار وسنحاول من خلال وصف بودليار له وتحديده لخصائصه أن نضع له مقابل باللغة العربية، يتحدد ال Hyperreality لدى بودليار في ضوء علاقته الوطيدة بالمحاكاة، " فهو يتضمن عمليات المحاكاة وفي بعض الأحيان يستخدم متلاقيا مع هذا المفهوم، وحسب تعبير بودليار يكون كليا داخل المحاكاة، كما أنه لا ينتج، بل أنه دائما بطبيعته إعادة إنتاج، ولنكن أكثر تحديدًا فإنه المحاكاة التي تبدو واقعية أكثر من الواقع ذاته، أكثر جمالا من الجمال، حقيقية أكثر من الحقيقة، في عالم الـ Hyperreality ليس هناك طريق للحصول على المصدر أو بمعنى آخر الحقيقة الأصلية[142]، ***"فالحقيقة تتبخر من وسيلة (إعلامية) لأخرى..،.حيث يتمكن ال Hyperreality من محو أي تناقض بين الواقعي والخيالي، فلم يعد غير الواقعي يوجد في الحلم أو الخيال أو المجهول لكن في التشابه الهذياني للحقيقة مع ذاتها".*** (143)

ومن أكثر الأمثلة الجيدة التي يستخدمها بودليار الخلاعة والتي يرى أنها أكثر جنسية من الجنس ذاته، أو ما أسماه hypersexuality [144] فالمُشاهد للخلاعة يبدأ في أن يعيش في عالم غير موجود للخلاعة، حتى وأن كانت الخلاعة لا تصور بدقة الجنس؛ فبالنسبة للمشاهد فإن حقيقة الجنس تصبح شيء ليس له وجود، ومن ثم يمكن

(141)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit., p166.

(142)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,p96.

(143)Jean Baudrilard, Symbolic Exchange and Death, Mark Poster, ed, Jean Baudrillard: Selected Writings, Op.Cit.,P 145.

(144)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,p96.

أن يُنظر لمعظم أشكال *Hyperreality* كحقيقة بالإنابة أو بالوكالة[145] ,فالتمثيلات تمحي الواقع وأصوله، لذلك ما لدينا هو صور محاكيه . نسخ بدون أصول . يعاد إنتاجها مرارًا وتكرارًا حتى تصبح " *hyperreal* " أكثر من الحقيقة ذاتها.[146]

ويرى بودليار في ال *Hyperreality* والمحاكاة قوتين رادعتين تعملان على تدمير كل مبدأ وكلّ مرجعية وهدف إنساني، وتحطّم كلّ تمييز مثالي بين الحقيقي والزائف، بين الخير والشر، لكي تؤسّس قانون جذري للتكافؤ(المساواة) والتبادل، هو القانون الحديدي لقوّتها.[147]

نخلص مما سبق إن الـ Hyperreality لدى بودليار هو واقع تقرره صورة محاكية تحمل ملامح الواقع وخصائصه، ومن فرط واقعيتها يصعب الفصل بشأنها فلا نستطيع أن نجزم بأنها غير واقعية حتى وأن كانت كذلك فعلا، ومن ثم يمكن أن نقول: إن المقابل اللغوي لهذا المصطلح ينحصر بين ثلاثة مسميات، فهو إما الواقع الفائق: الذي يفوق في واقعيته الواقع، أو الواقع المفرط: الذي يتسم بفرط واقعيته، أو الواقع المشتق: الذي يشتق من الواقع، وإن كان فقد اتصاله بهذا الواقع من كثرة عمليات إعادة الإنتاج له.

يبقى لنا أن نوضح رؤية بودليار لعالم ما بعد الحداثة في سياق صياغاته النظرية للمحاكاة والصور المحاكية.

العالم ما بعد الحداثي في إطار الصور المحاكية.

جمع بودليار في مؤلفه "المحاكيات" بين النقد المستوحى من نيتشة للميتافيزيقيات والمنحى الوصفي للمرحلة الحالية من الحياة الاجتماعية باعتبارها تجسد النظام الثالث من الصور المحاكية، حيث تنهار إمكانية التمييز بين الحقيقة وأشكال تمثيلاتها، كما أخذ مفهوم الصور المحاكية وطبقه على مناحي الحياة اليومية، واستند على ذلك إلى

(145) Hyperreality, Available on line: http://www.en.wikipedia.org/wiki/Hyperreality

(146)Rekha Mirchandani, Op.Cit.,P 94.

(147)Jean Baudrillard, Simulacra and Simulations, Op.Cit.,P22.

جانب تناوله لقوة الإعلام الجماهيري ليناقش دخول المجتمع عصر جديد؛ حيث حلت المحاكاة محل التمثيل كمبدأ مهيمن لخيال الإشارات، وفقا لما يراه بودليار فهناك الكثير من نطاقات الحياة الاجتماعية مثل الإعلام لا تمثل فيها الإشارات أو التمثيلات الأخرى الواقع بصدق، ومن الناحية التطبيقية يرى بودليار أننا نعيش في عالم اجتماعي مفرط الواقعية من التمثيلات التي تفتقد للمرجعية، والصور التي تفتقد للأصول، فتنامي المعلومات المرسلة إعلاميا وسرعة نقلها يخلق حاضرا ثقافيا مستمرا يبدأ فيه المجتمع المعاصر في فقد قدرته على العودة إلى ماضيه.(148)

وعند تناوله لثقافة ما بعد الحداثة يرى بودليار أنّ مجتمعنا أصبح متّكلاً جدا على النماذج والخرائط التي أفقدتنا كلّ الاتصال بالعالم الحقيقي الذي سبق الخريطة، وبدأت الحقيقة ذاتها تكون مجرّد تقليد للنموذج، الذي يسبق الآن العالم الحقيقي بل ويقرره، ويرفض بودليار وصف الثقافة ما بعد الحديثة بالاصطناعية، لأن مفهوم الاصطناعية ما زال يتطلّب بعض الإحساس بالحقيقة في مقابل ما يعرف بالخداع بل قضيته مفادها أنّنا فقدنا كلّ القدرة لندرك الاختلاف بين الطبيعي والمصطنع.(149)

ويستدل بودليار على تغلغل المحاكاة في حياتنا المعاصرة بمجموعة كبيرة من الأمثلة للمحاكيات: (150)

- فهو يعتبر أن مجرد وجود القبيلة الهندية البدائية (التاسدي Tasady) اليوم محاكاة منذ أن جمدت القبيلة وعُقمت وتم حمايتها من الفناء، ربما في وقت من الأوقات كانت قبيلة بدائية حقيقية لكن ما يوجد اليوم ليس إلا محاكاة للقبيلة التي كانت فيما مضي.
- مباراة كرة القدم على الكأس الأوربي عام 1987 بين ريال مدريد ونابلس حدثت في الليل في إستاد خالي تماما، فلقد منع المشجعون نظرًا للسلوك الجامح لمشجعي فريق مدريد في المباراة السابقة، لا احد تقريبا عايش المباراة مباشرة لكن شاهد الملايين صورتها المتلفزة، لذلك هي محاكية.

(148)P,Patton, Op.Cit.,PP11876,11877.

(149)Dino Felluga, Available on line, Op.Cit.

(150)George Ritzer, Postmodern Social Theory, Op.Cit.,p95.

- لقد أغلقت كهوف Lescaux ، في حين افتتح للجمهور نسخة مطابقة بدقة لها وهذه هي المحاكاة.
- كما يصف وتريجيت كمحاكاة للفضيحة.
- ينظر لحرب الخليج مع العراق كمحاكاة للحرب النووية التي لم تقع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.
- هناك أيضا مدينة ديزني لاند للألعاب التي تعد نموذجا تاما لكل الأنظمة المتشابكة للمحاكاة، فلنأخذ على سبيل المثال ركوب الغواصة المحاكية التي يتجمع الناس لرؤية الحياة في أعماق البحار المحاكية، والمدهش في الأمر أن الكثير من الناس يقبلون عليها أكثر من الأحواض الزجاجية للأحياء المائية الحقيقية التي في حد ذاتها محاكاة للبحر لكن تحت البر، وهنا يؤكد بودليار أن تآكل الاختلاف بين الحقيقي والخيالي الصحيح والزائف أسهم في الانتشار الواسع للمحاكيات، ومن ثم تتزايد صعوبة التمييز بين الحقيقي والمزيف، فكل حدث معاصر هو خليط من ما هو حقيقي وما هو خيالي.

مراجع الفصل

_ مروة صلاح الدين عبد الله, النظرية والمنهج في سوسيولوجيا ما بعد الحداثة دراسة تحليلية, رسالة دكتوراة, كلية الآداب, جامعة القاهرة, 2010.